الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التّبسي . تبسة

كلّية الآداب واللّغات قسم اللّغة والأدب العربي

محـــــــــــاضرات في مقيـــــــــاس

تحليل الخطاب

مطبـوعة بيداغـوجية معدّة لطلبة السنة الأولى ماستر

تخصص: لسانيات الخطاب

إعداد الدّكتور: رشيد وقاص

السنة الجامعية 2019/ 2020

مقدمة :

هذه المطبوعة لا تزعم تقديم إجابات عن أسئلة معرفية في تخصص لا يزال إلى يومنا هذا مجالا ثريا للبحث، وحقلا خصبا للتّساؤلات والآراء في مختلف الميادين المعرفية التي تهتم بالخطاب، وتتّخذ منه إمّا مجالا للمساءلة النّظرية أو مدونة للتّفاعل والتّحليل. إنّما هي مطبوعة تسعى إلى تقديم درس علمي أكاديمي وفق برنامج مسطّر، تتكيّف ووحدات المقياس المتّفق عليها، والواجب تنفيذها عمليا. وإن كانت محلّ تحفظ يستدعي إعادة النّظر، ولكن ليس هذا موضع طرح هذا التّحفظ ، ولا موضع تقديم رؤية جديدة مختلفة.

ولعلّ ما يحتّم على الباحث ضرورة التّقيد بالمفردات في هذه المطبوعة طبيعة مقياس تحليل الخطاب من جهة، مقياس يمتح من تخصّصات ومعارف عديدة، ويتقاطع معها، وهي طبيعة تحليل الخطاب كمجال للبحث سواء في جهازه المفاهيمي، أو في آلياته، وأدواته ومناهجه، واستراتيجياته التي يتوخاها لبلوغ النّجاعة، فهو مجال بحثي بيني لا حدود معلومة له، زئبقي، لا يتأتّى للباحث الشّغوف والمتمرّس الإحاطة به، ناهيك عمّا إذا كان الأمر متعلقا بدروس أكاديمية للأسف مرسومة المعالم سلفا، لا تمنح الباحث فرصة للإبداع أو تمنحه نزرا من الحرّية للمساءلة وتقديم الإضافة العلمية التي يفترض أن تكون الهدف الأسمى في البحث العلمي الأكاديمي والتّكوين العلمي والمعرفي. وهذا لا يعني ثمّة تناقض في الرّؤية ، وإنّما هو الاختلاف بين طبيعة الدّرس الأكاديمي والطّموح المعرفي الذي يساور كلّ باحث.

إنّ المطبوعات الأكاديمية التي تتّكئ عادة على مفردات محدّدة سلفا تكون عادة مجرّد جرد للمعلومات وتصنيفها وتبويبها على المستويين النّظري والتّطبيقي، تكاد تتشابه تعيد بعضها البعض، تخلو من طعم الإبداع، لأنّها في الغالب ضرورة تفرضها عملية التّعليم

والتّعلم التي تتوخّى الإيجاز والسهولة وتجنّب التّعقيد في طرح الموضوع، فيها من الكسل المعرفي ما يقتل روح الاجتهاد والكدّ المطلوب كمقتضى حضاري إنساني.

وبناء على ما سبق يتحتّم تتبّع المفردات التي تمّ اختيارها لتكون مادة معرفية يتعيّن على الاستاذ مرافقة الطالب بغية اكتسابها خلال السّداسيين الدّراسيين، ومساعدته على تطوير مهاراته تطبيقيا من خلال اختيار نماذج تطبيقية تسمح بتفعيل المكتسبات النّظرية عمليا، أو ربّما تمكّن من رفع اللبس الذي غالبا ما يميّز الجهاز المفاهيمي.

ونتيجة التقارب الشديد بين مفردات المقياس إلى حدّ قد يجعل الطالب يشعر بالتّكرار المملّ، عمد الباحث إلى تجنّب ذلك، فقد يلاحظ القارئ أنّ محاضرة مفهوم النّص المقررة في مفردات المقياس مثلا، ستعاد في محاضرات أخرى بشكل موزّع ، ولعلّه يرى أنّ مصطلح النّص يتكرّر في كثير من المفردات، بل وربّما يشكّل ومفهوم الخطاب العصب الرئيس لانتظام أوراق هذه المطبوعة دروسا لمقياس تحليل الخطاب.

وأخيرا، آمل أن تقدّم هذه الاوراق البحثية الخطوط العريضة، ,أهمّ الأفكار الأساس التي يستند عليها الطالب الباحث في مشواره العلمي المستقبلي، ذلك أنّها مربوطة بحجم ساعي قصير جدا، يكون فيه هذا الجانب النظري مشفوعا بجانب تطبيقي في الحصّة الواحدة، وهي محاضرات للسّداسي الأول فحسب. هذا ويسعى الباحث إلى بسط جميع الدّروس والتّوسع فيها في عمل آخر مكتمل الجوانب وملمّ بمعظم الإشكالات والمسائل التي يطرحها التّخصص ليقدّمه للمكتبة إضافة جديدة تخدم الطلاب والباحثين على حدّ سواء ، والله وليّ التّوفيق.

محاضرة افتتاحية

ما الخطاب ؟

تمهيد:

"تحليل الخطاب" في الأصل درس لساني معاصر، كان للأمريكي زليغ سبتاي هاريس الفضل في الاستعمال أولا، حينما اختار عنوان" تحليل الخطاب" لدراسته في اللّسانيات التّوزيعية سنة[1]. والتي سمحت بالانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النّ 1952، لكن هذا لا يعني أنّه كان غائبا في التفكير البلاغي والنقدي قبل مقالته هذه بل كان محل اهتمام الدرس البلاغي والنقدي والنّحوي منذ القديم سواء عند الغربيين أو العرب.

وقبل الحديث عن تحليل الخطاب ، يُفتَرض أولا أن نذكّر بمفهوم الخطاب أولا ، ثم نعرج على مفهوم التّحليل وأسسه، وتتبّع مسار تطوره.

1 – مفهوم الخطاب (Discours):

انطلاقا من الاختلاف البيّن بين التّأصيل المعرفي عن العودة إلى تاريخ تطور المصطلح، يجب القول بأنّ زليغ هاريس يكون أول من استعمل عبارة تحليل الخطاب إثر توسيعه الدّرس اللّساني من الجملة إلى النّص، والخطاب عند هاريس هو " النّص بعدّه إنجازا فرديا مرتبطا بوضعية اجتماعية وثقافية، هذا الارتباط بين اللغة والثّقافة والوضعيات الاجتماعية هو ما ينجرّ عنه حدوث تغيّر في توزيع المورفيمات، ومن خلال هذا التّباين

[1]-Zellig S. Harris, Discourse Analysis, Language,[article], Vol. 28, No. 1 (Jan. - Mar., 1952) , Published by: Linguistic Society of America, p 01.

في التّوزيع يتمّ الكشف عن بنية النّص، ويسمح ليس فقط بالبحث عن المعنى، وإنّما عن كيفية قوله"[1].

إنّ النّص (texte) من خلال ما سبق هو تجسيد للخطاب(discours)، ذلك أنّ توزيع المورفيمات(Morphèmes) بشكل مختلف بين النّصوص يشير في الوقت ذاته إلى اختلاف الوضعيات الاجتماعية والثقافية التي يتكئ عليها المنجز اللّغوي سواء أكان جملة أو اكثر. فالخطاب هو وحدة لغوية [جملة أو أكثر] تصاغ على نحو ما يكشف عن وضعية اجتماعية وثقافية تسمح بالتفاعل بين الباث والمتلقي . وإغفال الوضعية الاجتماعية والثّقافية يجعل من التّواصل مجرّد تتبّع لتعاقب المورفيمات على المستوى الخطّي فحسب ، وإليك هذا المثال :

(أ) و(ب) جزائريان أمّا (ج) فهو أجنبي، اتفقا (أ) و (ب) على التّواصل المشفّر بينهما إذ تمّ وضع عبارة " تبقى على خير" أثناء المكالمة الهاتفية للدّلالة على خطر محدق وعبارة " تبقى على خير" مشهورة في التّواصل اللّغوي بين جميع النّاس، والنّطق بها أمام (ج) الاجنبي لا يثير انتباهه للرّسالة المشفرة. ويمكن لـ (أ) أن يقول العبارة نفسها لـ (ج) وهو يفارقه، لكن دون أن تكون لها الدّلالة الأولى نفسها، ولذلك فالكلام باعتباره سلسلة لغوية ليس إنجازا فرديا في هذا الموضع فحسب، بل هو مشروط بمواقف اجتماعية. ثمّ إنّ عبارة " تبقى على خير " قد تستعمل في مواضع شتّى للتّعبير عن مواقف مختلفة، كتعزيز الصداقة أو الفراق الأبدي أو الدعاء بالخير أو مراعاة لآداب المجالس ليس إلاّ.

[1] Ibid, p01.

وجون لاينز بدوره ـ في معرض حديثه عن الجملة النّظام والجملة النص او السياقية ـ تعرض إلى أهمية الموقف الاجتماعي والإطار الثّقافي الذي يحكم استعمال الجمل، ولا سيما في الدّلالات العرفية للعلامات[1].

وإن كان ثمّة تداخل ـ ظاهريا ـ بين النّص والخطاب في حديث زليغ سبتاي هاريس، إلاّ أنّه يمكن الفصل بينهما ، فالنّص هو التجسيد اللّغوي أثناء عملية التّواصل شفاهيا أو كتابة أمّا صياغته الأسلوبية الكاشفة عن الموقف والتّجربة والثقافة الاجتماعية المشروطة لخلق التّفاعل بين طرفي الخطاب الباث والمتلقّي فهي الخطاب، فالخطاب هو إملاء خارجي اجتماعي ثقافي و ظرفي.

ولا يختلف هذا التّصور عن التّصور الذي قدّمه من قبل فردينان دي سوسير حين عدّ النّص كلاما، ولم يفرق بين لسانيات النّص ولسانيات الكلام[2]، وهو التصور ذاته الذي تبناه فيما بعد فان ديك، حيث يتماهى النّص عنده مع الخطاب، سوى أنّ النّص إنجاز بالفعل والخطاب إنجاز بالقوة، ذلك أنّ الخطاب هو الهيكل التّنظيمي الذي يتجسد عبره النّص. فالخطاب يجب أن يدرس ضمن الاستعمال الآني للّغة، بعدّه حدثا، لا يفهم إلاّ ضمن التّفاعل الاجتماعي الذي انبثق منه ، والذي يشكّل سرّ انسجامه[3].

---

[1] - جون لاينز ، اللغة والمعنى والسياق ، ترجمة : عباس صادق الوهاب ، مراجعة ييونيل عزيز ، دار الشّؤون الثقفافية العامة ، وزارة الثقافة والإعلام ، آفاق عربية ، بغداد ، العراق ط1 ، 1987، ص216، ص 217.

[2] – باتريك شارودو ودومينيك منغنو وآخرون ، معجم تحليل الخطاب ، ترجمة : عبد القادر المهيري وحمادي صمود مراجعة : صلاح الدّين الشريف ،منشورات دار سيناترا ، المركز الوطني للتّرجمة ، تونس ، ط1 ، 2008، ص 184.

[3] - Teun Adrianus van Dijk, Discourse as Social Interaction, Discourse stadies :A multidisciplinary introduction, vol n°2 ,SAGE publication,london, thousand oaks, new delhi, p02,p03.

والفارق بين هاريس وفان ديك هو الخلفية التي انبثق منها تصوّرهما للخطاب، فهاريس تلميذ بلومفيد ذو منزع سلوكي، يركّز على المثير والاستجابة التي يمليهما الموقف، أمّا فان ديك فذو منزع تداولي سياقي.

أهمّ ما يمكن ملاحظته هو ارتباط مفهوم الخطاب بالكلام في الدّراسات اللّغوية الحديثة سواء أكان جملة ام أكثر، أو كان شفويا أم مكتوبا، فالنّصوص المكتوبه هي أيضا إنجاز فردي من النّاحية الأسلوبية، وهي بذلك شكل من أشكال الكلام، وتحتاج منهجا في الدّراسة اللّسانية يختلف عن منهج اللّسانيات العامّة كما رأى دي سوسير[1]. وهذا الارتباط بين الخطاب والكلام في المفهوم قديم جدا، إذ كان يقصد بالخطاب المحادثة أو المحاورة أو تبادل الكلام في القرن الرّابع بعد الميلاد، بعدما كان بمعنى الذّهاب والمجيء مشيا، إذ هو مشتق من الفعل (discurrere)، عند اليونايين القدامى[2]، وارتبط كذلك عندهم باللّوغوس (Logos) أو الكلام العقلاني، المنطقي، وهو ضدّ الخرافي، المتجاوز للعقل أو الميثوس (Mythos)[3]، أمّا عند النّحاة والبلاغيين والمفسرين العرب قديما، فهو عندهم الكلام المتبادل، وشرط التّبادل أساس، إخراجا للكلام النّفسي أو كلام المجنون[4]. كما يكون الخطاب مرادفا للملفوظ كما هو الأمر عند إيميل بنفنست، إذ الخطاب عنده هو:" استعمال اللّسان

[1] -Jean-Paul Metzger, Le discours: Un concept pour les sciences de l'information et de la communication, ISTE Group, london , 2019, p34.

[2] - Jean-Paul Metzger, Le discours: Un concept pour les sciences de l'information et de la communication, op-cit, p05.

[3] - André Malet, Mythos et logos: la pensée de Rudolf Bultmann, Labor et Fides,genève,1971, p 126.

[4] – عبد الرحمان الحاج صالح ، الخطاب والتّخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، ط1، 2012، ص16.

استعمالا آنيا وظرفيا، بحيث يمثل حدثا تكون فيه اللّغة حيوية، فالتلّفظ (L'enonciation) هو وضع اللّغة ضمن النّشاط والفاعلية، بحيث تبرز قيمة كل الوحدات اللّغوية"[1]، وهو بذلك لا يختلف كثيرا عن كاثرين كربيرات أركيوني التي أضافت البعد المرئي على الخطاب، إذ لم تكتف فقط بالجانب الصّوتي أثناء عملية التّواصل ، فهي مؤشّرات مهمّة في المحادثة ، إذ تساعد المخاطب في فهم الرّسالة [2]، وإن ركّزا هذان الخيران على السّمة الشفوية للخطاب فإنّ جان ميشال أدام الذي تأثّر بإميل بنفنيست في القول بضرورة السّياق أو المقام الذي يجمع المتخاطبين (الزّمان والمكان)، فيرى أنّ مفهوم الخطاب مرتبط باستعمال اللّغة ضمن السّياق التّواصل، سواء أكان الخطاب مكتوبا أو شفويا[3].

وسيأتي تفصيل كلّ ما سبق وتوضيحه، وإنارة بعض الجوانب المتعلقة به مع إبراز الفروقات، وبيان الخلفيات، وتسليط الضّوء على بعض أسس تحليل الخطاب. دون أن ننسى في الأخير، أن اختلاف وجهات النّظر في تعريف الخطاب والفصل بينه وبين المفاهيم المتاخمة له، وكذلك اللّبس الذي يعتري هذا المفهوم رغم شيوع استعماله في مجالات مختلفة وعلى نطاق واسع مردّه إلى اختلاف الخلفيات التي تبلورت في ضوئها التّصورات العديدة لمفهوم الخطاب، وكذا تناوله في كثير من التّخصصات المهتمة به، ولذلك تعدّدت الآليات والمناهج ، وتنوعت الأسس، وجعل تحليل الخطاب مجالا واسعا وبينيا في الآن ذاته.

---

[1] -Jean-Paul Metzger, Le discours: Un concept pour les sciences de l'information et de la communication, op-cit, p 35.

[2] - Jean-Paul Metzger, Le discours: Un concept pour les sciences de l'information et de la communication, op-cit, p 58.

[3]- Jean-Paul Metzger, Le discours: Un concept pour les sciences de l'information et de la communication ,op-cit, p 35.

وما سبق هو مجرد تذكير ببعض المفاهيم الأساسية للخطاب، والتي يعدّ التّذكير بها ضروريا من جهة التأسيس المعرفي، ومدخلا مهما للقضايا التي ستبسطها هذه المحاضرات لاحقا. و ربّما يكون من الجدير أن نستحضر تصّور أبي عثمان الجاحظ عن الفرق بين الكتابة والصّوت في كتابه البيان والتّبيين، ولعلّ هذه المزية التي يتحدّث عنها الجاحظ تكون أقرب إلى مفهوم الخطاب في الدّراسات المعاصرة: " وقالوا اللّسان مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشّاهد والغائب، وهو للغابر الحائن مثله للقائم الرّاهن، والكتاب يقرأ بكلّ مكان، ويدرس في كلّ زمان، واللّسان لا يعدو سامعه، ولا يتجاوزه إلى غيره ."[1] .ولعلّها تفرقة مبكّرة بين النّص والخطاب في التّفكير اللّغوي العربي.

[1]– أبو عثمان بن بحر (الجاحظ) ، البيان والتبيين ، المجلد الأول ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي للطّباعة والنّشر والتّوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط7 ، 1998، ص 80.

المحاضرة الأولى

تحليل الخطاب في البلاغة العربية

تفاديا لإعادة ما هو مبثوث في مختلف المؤلفات التي تناولت مفهوم الخطاب في التّراث العربي، ولا سيّما البلاغي منه، نحاول في هذه المحاضرة تتبّع بعض القراءات المعاصرة للتّراث في ضوء المنجز الغربي، أكثر من محاولة التّعسف في تأصيل هذا المصطلح، بقدر ما نحاول التأسيس المعرفي الذي يضع المنجز العربي ضمن أفقه التّاريخي والحضاري والمعرفي.

التّراث البلاغي والخطاب :

لقد سبق الذّكر في المحاضرة السّابقة، أنّ الخطاب عند البلاغيين والمفسرين والنّحاة واللّغويين(أصحاب المعاجم) العرب القدامى كان بمعنى الكلام، أو مراجعة الكلام، وقد بسط عبد الواسع الحميري ـ في كتابه: الخطاب والنّص " المفهوم . العلاقة . السّلطة " ـ مفهوم الخطاب في المعاجم العربية، وعند البلاغيين والمفسرين وعلماء الكلام، والجامع بين تعريفات كلّ هؤلاء هو التّرادف بين الخطاب والكلام. فمن النّاحية اللّغوية يخلص الحميري إلى رأي يعزّزه الاشتراك اللفّظي بين الخطابة والخُطبة اللّذين جعلهما الأصل المرجعي للخطاب، فكلّهم يقصد بهم الكلام المؤثّر المقنع[1]. وقد تنبّه لمعاني أخرى للخطاب، وهو يتتبّع لفظ الخطاب في القرآن الكريم، فاتّضح له: "أنّ الخطاب قد يطلق ويراد به الملفوظ*

[1] – عبد الواسع الحميري ، الخطاب والنّص " المفهوم ، العلاقة ، السلطة " ، المؤسّسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2014، ص 14. بتصرّف.

*– يبدو استعمال مصطلح التّلفّظ بتأثير من نظرية التّلفظ عند بنفنيست وسيرل وغيرهما .

نفسه ،،،، وقد يطلق ويراد به عملية التّلفظ إلى الآخر لغرض ما، وقد يطلق ويراد به ما يقع فيه التّلفظ. "[1]. ويضيف محمد عبد الفتّاح عمار مصطفى مناسبة المقام للكلام [2].

وإن كان البعض يرى ترادفا بين الخطاب والنّص في التّراث العربي، إلاّ أنّ بعضهم رأى أنّ الخطاب أسمى من النّص، حيث يقول الغزالي في المستصفى: " وإنّما آثرنا لفظ (الخطاب) على لفظ (النّص) ليكون شاملا للفظ والفحوى والمفهوم وكلّ دليل ..." [3]. ويضيف عبد الواسع الحميري مفرقا بين الخطاب والنّص ، فيقول : " أمّا الخطاب فهو النّظام الذي تخضع لمنطقه عملية التّلفّظ ، أو هو بالأحرى ، النّظام الذي يحكم ويتحكّم بعملية التّلفّظ ، لذلك نجد أنّ (الخطاب) عبارة عن نظام القول المعبر عن حكمة القائل ونظام القول المعبر عن رغبة القائل في الاستحواذ والسيطرة ومن ثم فهو نظام القول المعبر عن سلطة أو عن إرادة السّلطة[4].

ومثل هذه الآراء نجدها كثيرا في التّراث البلاغي العربي. والحديث عن الخطاب في التّراث البلاغي العربي لا يمكن أن يستجمع إلاّ في ظلّ الإلمام بشتى علوم شتى كالفقه والنّحو وعلم الكلام والفلسفة وعلم المعاجم والنقد والبلاغة كعلم مخصوص، فالبلاغة مصطلح جامع، ذلك أنّها كانت صفة الكلام المعجز الذي أينعت في رحابه كلّ هذه العلوم.

---

[1] – عبد الواسع الحميري ، الخطاب والنّص " المفهوم ، العلاقة ، السلطة " ، مرجع سابق، ص 28.

[2] – محمد عبد الفتّاح عمار ، الخطاب الدّيني ، تجديد لا تبديد ، وتطوير لا تحريف، كنوز للنّشر والتّوزيع ، القاهرة ط 1 ، 2017، ص 16.

[3] – أبو حامد الغزالي ، المستصفى من علم الأصول ، تحقيق : أحمد زكي حماد ، دار الميمان للنّشر والتّوزيع ، الرّياض المملكة العربية السّعودية ، دط ، دت ، ص 164.

[4] – عبد الواسع الحميري ، الخطاب والنّص " المفهوم ، العلاقة ، السلطة " ، مرجع سابق ، ص 28.

فهي تجمع بين ماهو حجاجي اقناعي وبين ما هو أسلوبي وبين ما هو نسقي تخييلي وحجاجي في نظر محمد العمري[1].

فالرّازي يقول عن الخطاب:" أنّه كمال الحال في النّطق "، أي في التّلفظ والملفوظ والدّليل والقصد والمقام، وهذا الوصف وصف بلاغي للكلام البليغ، يذكر بتلك الواقعة التي جرت بين الأصمعي والأعرابي حيث أنكر الأعرابي أن تكون الآية التي تلاها الأصمعي من القرآن حينما ألحن في تلاوته *، إذ تلا الاصمعي من سورة المائدة قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38)﴾ فلحن في آخرها وقال "غفور رحيم " بدلا عن " عزيز حكيم " فأنكر عليه الأعرابي إلى أن استدرك الأصمعي الخطأ وسأل الأعرابي عن سرّ إنكاره وتنبّهه للحن، فقال الأعرابي : عز فحكم فقطع ولو غفر ورحم لم يقطع [2]. لعدم التناسب والخروج عن سياق القول ومقام الشّدة والبعد عن القصد والغرض.

والخطاب في البلاغة العربية ملتبس مع الكلام والنّص، فهو ملفوظ ونص، ملفوظ من الناحية التداولية، ونص من وجهة بنيوية، وهذا الالتباس ناتج عن علاقة علوم البلاغة بعلوم

[1] – محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التّخييل والتداول ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء، المغرب ط2، 2012 ص 10.

[2] – أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج2 ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1994 ، ص 185.

القرآن. فالخطاب هو الملفوظ الموجه بالوحي من الله إلى نبيّه عليه الصّلاة والسّلام، وهو نفسه النّص. كما أنّه في الآن ذاته كلام الله المعجز[1].

فهو من جهة الكلام انقسم حوله الأصوليون إلى فرق، بين الكلام القديم والمحدث والنّفسي والموجه، ومن حيث هو خطاب فهو ملفوظ موجه إلى متلق قصد الإفهام في لحظة تاريخية ما[2]، ومن حيث هو نص، فهو إمّا: نص تمثيلي، أو تعبيري، أو نص متجاوز أي بوصفه نصا مفتوحا متعددا[3].

وكما سبقت الإشارة، فإنّه في فضاء النّص القرآني بالذّات أينعت علوم كثيرة في التّراث العربي، وقد شكّل الوجه البلاغي أهم أوجه الدّرس التراثي، وقد كان الخطاب حاضرا بقوة في هذا الفضاء الدّيني واللغوي والفلسفي والبلاغي والأدبي. بل إنّه كان مدار الانشغال ومحور الاهتمام ، تلفظا وبنية وتداولا ودلاليا وأجناسا وسلطة ، أسلوبيا ومعياريا .

فالبلاغة العربية في مرحلتها الأولى قد اهتمت بكلّ عناصر الخطاب ، المتكلم والكلام والسامع (المتلقي)، والسّياق و المقام الذي يجمعهما، واللّغة المستعملة وشروطها والأغراض والمقاصد، وإن انصب اشتغالها فيما بعد ـ في مرحلة التقعيد ـ على ما يجب أن يتوفّر عليه النّص(الكلام) أكثر من اهتمامها بالأطراف الاخرى لعملية التّواصل[4]، فالمرحلة الأولى

---

[1] – نصر حامد أبو زيد ، مفهوم النّص ، دراسة في علوم القرآن ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، الدار البيضاء المغرب ، ط1 ، 1990، ص67.

[2]– عبد الواسع الحميري ، الخطاب والنّص " المفهوم ، العلاقة ، السلطة " ، مرجع سابق، ص 34، ص 35.

[3] – المرجع نفسه ، ص 47.

[4] – مسعود بودوخة ، البلاغة العربية بين الإمتاع والأقناع ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1 ،2018، ص 162.

كانت مرحلة بلاغة الكلام، أما المرحلة الثاية فمرحلة العلم الذي يضع معايير البلاغة للكلام.

ولعلّ مفهوم البلاغة عند ابن المقفع يوضّح اهتمام البلاغة العربية بالمخاطب والنص وجنس الخطاب والسامع والمقاصد والسياق: " البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السّكوت، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الاشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون جوابا ، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون سجعا وخطبا ، ومنها ما يكون رسائل ، فعامّة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى ." [1].

فتماما كما اعتبر ابن المقفع الصمت خطابا، فإنّ دونيس كيرزون (Dennis Kurzon) يعتبره خطابا أيضا أو علامة غير لغوية في الخطاب اللّغوي ، لا تحمل دالا (صورة صوتية) ولا تحمل أيّ مدلول (صورة ذهنية) إلاّ ضمن السّياق التّداولي، أو لغة الجسد التي تكشف عن المسافة بين طرفي المحادثة[2]. والقصد من هذا توضيح اهتمام العرب المبكر بالخطاب ونزوعهم التّداولي في البحث عن المعنى وعن طبيعة العلامات التّواصلية بين المتخاطبين. لغوية وغير لغوية كما هو بيّن من خلال ذكر ابن المقفع لقيمة الإشارة في الخطاب، أو الخطاب الإشاري في حدّ ذاته.

[1] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتّبيين ، المجلد 2 ، ج1 ، تحقيق : عبد السّلام هارون ، مكتبة الخانجي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة ، مصر ، ط7 ، 1998، ص 116.

2- Dennis Kurzon, Discourse of Silence, John Benjamins Publishing, Amesterdam , Netherland , Philadelphia, Usa, 1998, p11.

خطاب *البلاغة* وبلاغة الخطاب:

إذا ما عدّت البلاغة العربية التقليدية بلاغة معيارية تبحث عن شروط نجاعة الخطاب ومواصفات الخطاب أو البحث عما يكون به الخطاب خطابا، فإنّ التفكير البلاغي العربي القديم قد أمدّ الخطاب بمختلف وسائل تحقق عملية تواصل هادفة، سواء في الكلام اليومي أو الخطاب الأدبي التّخييلي، أي تداوليا وتخيليا ، فاشترطت في المتكلّم شروط الفصاحة وحسن الإشارة ، وأن يكون عارفا بلسان القوم، مالكا للقدرة على التّفنن والاتساع في الكلام عارفا بضروبه وأشكاله، مقدّرا لمواضع اللفظ، نبيها لما يقتضيه المقام، ويتناسب مع المقاصد والأغراض، واشترطت في بنية الخطاب السّلامة النّحوية وسلامة النّظم، وهذه الاخيرة تتجاوز تركيب الجملة إلى النّص، فيها حسن التّخييل، والسّبك والحبك، مع ما يلائم المقاصد التي لأجلها نُسج النّص[1]، كما اهتمت بالسّامع أو المتلقي أو القارئ الذي لابدّ له من آلة الفهم، فكما يشترط في المتكلّم البيان والتّبيين، أو الفهم والإفهام، فإنّ السامع لا بد أن يكون ملمّا بلسان القوم عارفا بمعاني المفردات ومدلولاتها ومناسبة وضعها، لذلك اشترط الفقهاء كمجاهد على المفسّر أن يكون ملما بلغة العرب إذ يقول: " لا يحلّ لأحد أن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلّم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب" [2]

والمقصود بلغات العرب في كلام مجاهد هو معرفة المفسّر (القارئ / المتلقي) بعلوم العربية من صرف ونحو ومعجم ودلالة وما إلى ذلك مما لا يتم الفهم السليم إلاّ به . كمعرفة أجناس الكلام وضروبه أيضا، وأن يكون مالكا لمعرفة تؤهّله لمعرفة دقائق التّراكيب

[1] – مسعود بودوخة ، البلاغة العربية بين الإمتاع والأقناع ، مرجع سابق ، ص19.

[2] – مناع القحطان ، مباحث في علوم القرآن ، مكتبة وهبة للنّشر والتّوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط7 ، 2000 ، ص 322.

والاستعمالات المختلفة، ومواطن الجمال في الأسلوب معنى ولفظا وعبارة وإشارة أو تلميحا لا سيّما إذا كان النّص أدبيا يغلب عليه التّخييل. وهذا ما يسميه عبد القاهر الجرجاني بالنّظم، إذ يقول: وذلك لأنّه لا فضيلة حتى ترى في الأمر مصنعا، وحتى تجد إلى التّخيّر سبيلا ، ،، فإن قلت : أفليس هو كلام قد اطرد على الصواب ، وسلم من العيب ، قيل : أما والصواب كما ترى فلا ، لأنّا لسنا في ذكر تقويم اللّسان ، والتّحرّز من اللحن وزيغ الإعراب فنعتدّ بمثل هذا الصّواب ، وإنّما نحن في أمور تدرك بالفكر اللّطيفة ، ودقائق يوصل إليها بثاقب الفهم،، "[1] . وإن كان كلام عبد القاهر الجرجاني يتحدّث عن ميزة النّظم عند المؤلّف أو المتكلّم ، فإنّه يثير قضية بنية الكلام أيضا، كما لا يغفل دور المتلقي في إعمال فكر والرّوية في الوصول إلى كنه الخطاب. ذلك أنّ الخطاب صنعة .

فإذا كان النّص يعني الرّفع والكشف[2]، فإنّ الخطاب بعدّه صناعة معرفية سياقية ومقامية ومقاصدية ، يتجاوز قضية اللفّظ والمعنى إلى ضرورة قراءة تستند إلى مرجعية وإلى إعادة فتح النّص على المؤلّف وموقفه الاجتماعي، ذاك الذي عزلته البنيوية، سيما عند هلميسلاف في المحايثة التي اقترحها وفق منطق رياضي ، وإلى نفسية المؤلف وسياق القول والمقام الذي يجمع المتخاطبين، وانتماؤهما الثقافي والفكري[3]. سيما وإن ميزة البلاغة العربية كما

---

[1]– عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تعليق : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي للنّشر والتّوزيع ، القاهرة ، مصر ، دت ، دط ، ص 98.

[2] – الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، ج4 ، (ك /ي) ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ط1 ، 2002 ، ص 268.

[3] – محمد محمد يونس علي ، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى ، نحو بناء نظرية المسالك والغايات ، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2016 ، ص 12.

سبقت الإشارة قد جمعت بين التداول والتّخييل، فبناء النّص التخييلي والجمالي لا يعني أبدا عزله عن مقاصده .

هذا وسيتم لاحقا التّوسّع أكثر من خلال تقديم الأساس البلاغي في تحليل الخطاب عند القدامى والمحدثين العرب.

المحاضرة الثانية

الأساس البلاغي في تحليل الخطاب عند العرب :

إن أي كلام عن البلاغة هو في الحقيقة كلام عن طبيعة اللّغة المستعملة ووظيفتها وإذا كانت الوظيفة الأساسية التي ترومها البلاغة في استعمال اللّغة المخصوص هي وظيفة التّبليغ، أي أن يتوجّه المتكلّم إلى مخاطَب بكلام يحمل قصدا يريد تبليغه، سواء إقناعه أو التّأثير فيه، بوجه من الوجوه في مختلف أجناس الكلام وضروبه، فالبلاغة هي:" كلّ ما تبلغ به قلب السّامع فتمكّنه من نفسك كتمكّنه في نفسك، مع صورة مقبولة، ومعرض حسن "[1].

فالكلام السّابق يشير إلى نقطتين مهمتين هما: الكفاية اللّغوية والكفاية التّواصلية . فليس كلّ من يملك الكفاية اللّغوية يمكنه أن يحقّق تواصلا جيّدا، فعملية التّواصل النّاجعة لا تكون إلاّ بمراعاة أحوال المخاطب والسّياق الاجتماعي والثّقافي الذي يجمع بين المتخاطبين وطبيعة الشّفرة اللّغوية المستعملة والأسلوب، أي تحقيق الكفاية التّفاعلية التي نبّهت إليها أوكزار إلس Oksaar Els[2].

وقبل الحديث عن تعامل البلاغة مع الخطاب الأدبي، لابدّ اولا من الحديث عن البلاغة في تعاملها مع الخطاب (النّص) القرآني:

---

[1] – إنعام فوال عكّاوي ، معجم المفصل في علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني، مراجعة : أحمد شمس الدّين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1996، ص 268.

[2] – أنظر : محمد العبد ، النّص والخطاب والاتّصال ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، مصر ، ط1 2005، ص 17.

أ – بلاغة التفسير والخطاب القرآني:

أول ما يمكن ملاحظته في هذا السياق ذلك التداخل بين الخطاب والنّص في التّراث الإسلامي العربي، هذا التّداخل النّاجم عن مكانة القرآن الكريم الحاوي لنصوص العقيدة والتّشريع، وقد تمّ سابقا الإشارة إلى رأي أبي حامد الغزالي في المستصفى:" وإنّما آثرنا لفظ (الخطاب) على لفظ (النّص) ليكون شاملا للفظ والفحوى والمفهوم وكلّ دليل ..."[1]. وإن كان هذا الكلام فيه من التفرقة بين الخطاب والنّص، إلاّ أنّه لا ينفي التّداخل بينهما، ذلك أنّه يكشف عن احتواء النّص للخطاب، وليس العكس. فالخطاب واقع ضمن النّص. ورغم ذلك فهذه المقولة لا تنسى عناصر الخطاب " المتكلّم والنّص والمتلقي" ، فإذا كان اللّفظ من الله فإنّ الفحوى في النّص، والمفهوم عند المتلقي، فهذا الأخير هو الذي يتعدّد ويتجاوز اللّحظة التّاريخية، فالمفهوم ذو صيرورة وحركية في الزّمان والمكان، أي تنوع وتغيّر في الأذهان، كما يرى جيل دولوز [2].

وهذا التّداخل بين النّص والخطاب عند الأصوليين مردّه إلى كون المخاطِب (الله)، وإن كان مصدر الخطاب، فإنّه لا يعرف إلاّ ضمنه ، وإن كان عبر الوحي ـ الذي تلقاه النبيّ عليه الصّلاة والسّلام بالشكّ المعرفي الإنساني أوّل مرةّ ـ والنّص كتابة وتدوينا. وهي بلاغة التّفسير، وقد ألّف فيها المفسرون كثيرا من المصنّفات تبين أوجه الإعجاز القرآني لفظا وتركيبا وبلاغة، جمعوا في ذلك بين مختلف علوم العربية، نحوا وبيانا وصرفا وأصواتا.

[1] – أبو حامد الغزالي ، المستصفى من علم الأصول ، تحقيق : أحمد زكي حماد ، مرجع سابق ، ص 164.

[2] – زهير قوتال ،المفهوم الفلسفي عند جيل دولوز ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدّوحة ، قطر، ط1 ،2018، ص 178.

والحديث عن بلاغة التّفسير يجمع اجتهادات المفسرين والفلاسفة وعلماء الكلام والفقهاء، إذ إنّ التّفسير كان على أوجه مختلفة، تفسير يراعي لحظة التنزيل (مناسبة النّزول)، أو سياق الكلام، وتفسير يراعي سياق القول، وآخر تفسير بحسب طبيعة اللّفظ من حيث هو حقيقة أو مجاز، وتفسير يراعي المقاصد والغايات، وآخر ينظر فحوى الخطاب، كما سبقت الاشارة[1]، والتفاسير كلّها تراعي خطابها المرجعي، هو الخطاب القرآني ذلك أنّه لابد لكلّ خطاب من مرجع يسنده، وإلاّ عدّ زيغا وتحريفا[2]، وهنا يكمن الحضور القوي للنّص في التّراث الإسلامي.

والعودة إلى كتب التّفاسير وكتب الفلاسفة والفقهاء لا يسعه المقام، وحسبنا العودة إلى كتابين تتبع فيهما صاحبهما أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز البلاغي في القرآن الكريم وهما كتابا أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني.

وأوّل مسألة يمكن أن نهتمّ بها في هذا المقام هي البحث عن مكمَن الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم عند الجرجاني أو غيره كالرّماني، فوصف كلام الله بالمعجز إنّما جاء بفعل تقسيم مراتب الكلام إلى أعلى فأوسط فأدنى، فأمّا الأدنى فهو الكلام اليومي، وأمّا الأوسط فهو ما تحققت فيه بعض مواصفات القول البليغ لفظا أو نظما أو تخييلا، أمّا الأعلى فهو ما تحقق فيه كمال البلاغة فصاحة وبيانا[3]، وهذا تقسيم لأوجه الكلام(الخطاب) عمد إليه

[1]– أبو حامد الغزالي ، المستصفى من علم الأصول ، تحقيق : أحمد زكي حماد ، مرجع سابق ، ص 164.

[2] – محمد محمد يونس علي ، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى ، نحو بناء نظرية المسالك والغايات ، مرجع سابق ص 25 .

[3] – ابراهيم بن منصور التّركي ، وصف القرآن بالمعجزة في التّراث العربي ، عرض وتقديم ، دار كنوز إشبيليا للنّشر والتّوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السّعودية ، ط1 ، 2018 ، ص 32.

الرّماني[1]. وتلك نتاج إدراك ووعي بمستويات اللّغة وتباين الأسلوب، وهما ينمّان عن فطنة متقدّمة لمقاييس أسلوبية في مراتب الكلام و الإنشاء.

وهذا التّباين مردّه في نظر عبد القاهر إلى النّظم من جهة، ومن جهة أخرى إلى ذوق القارئ ، وهو بذلك يكاد يلتقي بريفاتير في معاييره الأسلوبية. ذلك أنّ القرآن الكريم بنظمه أحدث خلخلة في وعي العرب، ومفاجأة من حيث استعمال طاقات التّعبير اللّغوي إلى أقصى ما يمكن أن يبلغه الكمال والتّمام. والمتلقي لحظة التّنزيل وبعدها نموذجي[2]، من حيث امتلاكه ناصية اللّغة، وإحاطته باللّسان العربي، وبالمعيار الذي يشكّل الشّعر العربي آنذاك أرقى نموذج تتحقّق فيه الشّعرية ـ إنّ صحّ التّصنيف ـ والجمالية، فالنّص القرآني مفارق للمألوف من كلام العرب دون أن ينتهك اللّسان أو قواعد الجمال، أو قوانين اللّغة، بل هو من صميمها جميعا، بيد أنّه أكمل نماذج التّمام فيها .

فالعبد القاهر الجرجاني يرى القرآن الكريم معجزا في نظمه، والنّظم عنده هو حسن التّأليف، فيقول:" اعلم أنّ ليس النّظم إلاّ تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو وتعمل على قوانينه، وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرّسوم فلا تخلّ بشيء منها "[3].

---

[1] – ينظر: محمد تحريشي ، قراءات في الخطاب الرّوائي، E-Kutub Ltd، لندن، بريطانيا ، ط1، 2017، ص 48 ص49.

[2] – ميكائيل ريفاتير ، معايير تحليل الأسلوب ، ترجمة : حميد لحميداني ، منشورات دراسات سال ، مطبعة النّجاح الجديدة الدّار البيضاء ، المغرب، ط1 ، 1993 ، ص 42.

[3] – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تعليق : محمود محمد شاكر،مصدر سابق ، ص 81.

والنّحو قواعد قبلية عند عبد القاهر الجرجاني، وليست القواعد التّقعيدية ، ذلك أن البدوي يعرفها[1]، فالنّحو هي قوانيين اللّغة التي يعرفها النّاس جميعا، وترتيب المعاني في النفس واختيار الألفاظ لها يجب أن يراعي قواعده ومناهجه ، والأسلوب عنده هو النّظم نفسه أي حسن التأليف، وما تقتضيه قوانين النّحو، يقو الجرجاني: " لأنّ هذه المعاني التي هي الاستعارة والكناية والتّمثيل وسائر ضروب المجاز بعدها من مقتضيات النّظم، وعنها يحدث وبها يكون، ولأنّه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النّحو، فلا يتصور أن يكون ههنا فعل أو اسم قد دخلته الاستعارة دون أن يكون قد ألّف مع غيره ."[2]. والنّظم هو ترتيب المعاني حسب الفكر، حيث يقول الجرجاني: "،،،، إنّ المزيّة المطلوبة في هذا الباب، مزية فيما طريقه الفكر والنّظر من غير شبهة ." [3]،

وأمّا أوجه الاختلاف في طرائق التّعبير فهو بحسب المواقف والحالات النّفسية والمقاصد التي يبتغي المتكلّم التّعبير عنها أو فكّر فيها، وكلّ حال محتاجة إلى صيغة من الصّيغ النّحو، وهو ما دفع بالجرجاني الى ذكر مواطن الاختلاف وعلاقتها بمراعاة النحو ومناهجه. وكأني بالجرجاني ـ كما يرى عمر أوكان ـ شبه لدي سوسير في حديثه عن علاقة الوحدات

[1] – مسعود بودوخة ، نظرية النظم، أصولها وتطبيقاتها، مركز الكتاب الأكاديمي، دمشق، سوريا، ط1، 2018 ، ص 95.

[2] – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تعليق : محمود محمد شاكر ، مصدر سابق ، ص393.

[3] – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تعليق : محمود محمد شاكر، مصدر سابق ، ص395.

اللّغوية بعضها ببعض على محور التّأليف[1]*.

أمّا المتلقي أو السّامع في نظرية النظم عند الجرجاني فيجب أن يكون عارفا هو الآخر بقوانين النّحو وأوجه الاختلاف أو الفروق التي تعبّر عن تغيّر في الموقف أو في الفكرة المقصودة، ثمّ عليه أن يدرك أنّ المتكلم قد قصد ما قاله عن فكر وروّية ، في موقف معيّن للتّعبير عن وجهة نظر أو حالة نفسية، قد أملت على المتكلّم ترتيب كلماته وفق تسلسل خطي معيّن سواء على مستوى الجملة او النّص[2]، ذلك أنّ النّظم عند عبد القاهر يتجاوز حدود الجملة.

وقد يقول القائل أليس المقام مقام الحديث عن بلاغة التفسير، فما الدّاعي إلى الحديث عن النّظم عند الجرجاني، لقد كان الجرجاني على مذهب المعتزلة والأشاعرة اللّذين تعود إليهما فكرتا الإعجاز القرآني والنّظم.

هذا والحديث عن بلاغة التفسير يتطلّب حيّزا أوسع لا يسعه المقام، واسع بقدر التراث الاسلامي وضخامته وتنوّع مذاهبه واختلافها، وكثرة الدّراسات والمصنّفات وكبر المدونات التي تقتضي تخصيص دراسات فاحصة تتبّع مسارات الخطاب عند القدامى.

---

[1] – عمر أوكان، اللّغة والخطاب ، منشورات رؤية للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2011 ، ص 147، ص 148.

* صحيح هناك نقاط تشابه في التفكير اللغوي عند الجرجاني و التفكير اللساني عند سوسير ، لكن لا يمكن اعتبار الجرجاني بنيوي النزعة ، ذلك أنّ البنيوية تلغي المتكلّم أما التفكير اللغوي العربي القديم والحديث لا يلغي المتكلم ، بل هو مهيمن، انطلاقا من المرجعية الدينية التي تحكم الخطاب اللساني العربي.

[2] – عمر أوكان، اللّغة والخطاب ، المرجع السّابق ، ص 148.

ب- **الخطاب وبلاغة الإنشاء :**

ما من شكّ أنّ البلاغة العربية في البداية كانت تحاول مقاربة الخطاب القرآني للوقوف على أسرار إعجازه، وفي ضوء ذلك تمكنت من استنباط قواعد الكلام البليغ، إضافة إلى تلك المقارنة بينه وبين كلام العرب من شعر وأسجاع وخطب، فالبلاغة العربية بلاغة نص ومكتوب، تختلف عن البلاغة اليونانية بلاغة المشافهة والمرافعات القضائية والسّجالات السّياسية والجدل الفلسفي .

إنّ تدوين القرآن الكريم في وقت مبكر جدّا، وحفظه في متن، نقل الوحي الإلهي من المشافهة إلى الكتابة ، وإن كانت هذه النقطة مثار جدل هي الأخرى، إذ إنّ القرآن كان مكتوبا من قبل في اللوح المحفوظ، لكن ما يهمّنا هي مرحلة التّنزيل وملابسات الخطاب والمقام والسّياق الاجتماعي والتّاريخي والثّقافي، والعلامات اللغوية، كلّ هذه المعطيات لا يمكن للنّص أن ينقلها في المتن، لذلك جاءت مصنّفات أسباب (مناسبة النّزول) في المرحلة الأولى، لكي تعيد للنّص القرآني طابعه الخطابي. وتعيد إحياء كل ما يحفّ بالعملية التّواصلية من مؤشّرات (indice) يمكنها أن بفكّ السّنن (codes) أو كمؤوّلات (interpretants) للعلامات اللّغوية، ذلك أنّ هذا الاهتمام كان مزدوجا، إذ هو قراءة تداولية بيانية للخطاب، وممارسة تأويلية للنّص القرآني، في الآن ذاته [1].

[1] – نعمان بوقرة ، ملامح التفكير التّداولي البياني عند الأصوليين [مقال] ، مجلة إسلامية المعرفة ، العدد 54 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2008 ، ص 117.

إنّ القرآن الكريم خطاب يهدف إلى التّأثير والإقناع ، ينطوي على مقاصد عقدية وشرعية سرعان ما تتحوّل من وجود لغوي بالفعل إلى وجود فعلي بالقوة في شكل سلوكات عملية [1].

وقد اتسمت جهود البلاغيين والنّحويين العرب القدامى في إقامة درس لغوي يأخذ الفعل التّخاطبي في الحسبان، فكلّ وصف لغوي في البلاغة والنّحو العربيين، إنّما هو وصف لحظة التّخاطب[2]، بعيدا عن التجريد الذي أضرّ بالدرس اللغوي البنيوي الحديث.

وفي ضوء هذه العناية بلحظة التخاطب، كانت العناية بأطراف الخطاب، وبالمقام والموقف، وأحوال المتخاطبين وأذهانهم، والظروف الاجتماعية والثّقافية المحيطة بهم، ومرجعيات الخطاب وبناء على ما سبق ، وهو ما حتّم علم المفسّرين ضرورة التّقيد بمعرفة ملابسات التنزيل حتى لا يكونوا عرضة لأهوائهم في قراءة النّص القرآني أي ضرورة إقامة جسر بين أفقهم المعرفي والثقافي والاجتماعي الرّاهن واللّحظة التّاريخية للنّص[3]، سنحاول بإيجاز تتبّع اهتمام البلاغة العربية الانشائية بهذه العناصر.

أ . من جهة المخاطِب:

وضعت البلاغة العربية شروطا للمخاطِب (المتكلّم / المؤلّف) أسمتها شروط الفصاحة وشرط المعرفة بلغات العرب ـ لأنّ استعمال اللّسان مشروط بمعرفة المواضعة (معجما نحوا وصرفا ودلالة)، ولا أدلّ على هذا من قصّة استنوق الجمل في النّقد العربي القديم، وإن

[1] – نعمان بوقرة ، ملامح التفكير التّداولي البياني عند الأصوليين [مقال]، المرجع السّابق ، ص 120.

[2] – عبد الرحمان الحاج صالح ، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية ، مرجع سابق ، ص 08.

[3] – نعمان بوقرة ، ملامح التفكير التّداولي البياني عند الأصوليين [مقال]، مرجع سابق، ص 117.

كانت حاملة لقصد الشّاعر[1]ـ والقدرة على الاتّساع في الكلام مجازا وتحويلا وتوليدا، ومعرفة أساليب العرب، وأجناس الكلام وأضربه، ومعرفة أحوال السّامعين والمخاطبين ومكانتهم ومراعاة الزّمان والمكان، وطبيعة الموقف لحظة المخاطبة، وعادات النّاس وأعرافهم. فقد أعيب على الشّاعر علي بن جهم إذ وقف مادحا الأمير، فوصفه بالكلب في الوفاء[2]. وهو ما لا يليق بمقام الأمير.

وإذا كانت البلاغة تعني أيصال المراد إلى السّامع أو إفهامه، أو التّأثير فيه أو إقناعه فهي ـ في كلّ حال ـ تعني الابتعاد عن التّعقيد والغموض، ورفع الالتباس والإبهام، ولأجل ذلك يجب على المتكلّم مراعاة ذهن السّامع أثناء مخاطبته، وهو يلقي إليه الحكم. فالتّخييل وإن كان لابدّ منه في صنعة الأدب، فإنّ الإغراب فيه عيب، إذ لابدّ أن يكون قابلا للإدراك.

2 . من جهة الكلام :

قضت البلاغة العربية أن يكون الكلام جار على أساليب العرب وسننهم أولا، وقسّم البلاغيون الكلام مراتبا؛ فأدناها الكلام المبهم، فهو أصوات غير معقولة، وإن استبعده بعضهم من البلاغة، وأعلاها الكلام البليغ الذي يعتدّ بالتخييل والإثارة والإقناع[3].

---

[1] – حليمة بلوافي ، النقد اللّغوي القديم عند العرب ، دراسة في الأدوات والمنهج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2016 ، ص 74.

[2] – علي بن جهم ، ديوان علي بن جهم ، وزارة المعارف ، المكتبات المدرسية ، المملكة العربية السعودية، ط2 ، 1980 ص 117.

[3]– يحي بن حمزة العلوي ، كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز ، مراجعة وتدقيق : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1995، ص 63.

ومادام الكلام يعبّر عن الفكر والنّفس تعبيرا يوافق مقتضيات النّحو، فإنّه بذلك يجب أن يتوفّر على خاصيتي السّبك والحبك أو ما يعرف يومنا هذا بالاتّساق والانسجام[1]، اتّساق تتضافر فيه أدوات لغوية ، وانسجام تقتضيه الفكرة أو الموضوع، والحالة النّفسية المعبّر عنها وقصدية الكاتب، وأساليب إقناعه من حجج وطرائق الإثارة في المخاطبين، والموقف والمقام والإجمال والتفصيل والسّببية ،،،،،إلخ .

وفي هذا الباب يمكن التّنبّه إلى اهتمام المفسرين بالمناسبة بين فاتحة السّورة وخاتمتها بل وفاتحة السّورة وخاتمة السّورة التي سبقتها، والعكس صحيح[2] ، كما اهتمّ البلاغيون بعلاقة مطالح الشّعر بخاتمة القصيدة والموقف والمقام، كأنّ القصيدة كلمة واحدة[3].

من جهة المخاطَب :

لعلّ ما يهمّ تحليل الخطاب هو كيف يستقبل المخاطب الخطاب، ذلك أنّه مناط الحديث كلّه، إذ عليه كذلك أن يعرف موقع المتكلّم اجتماعيا وفكريا، ويدرك موقفه، ووضعيته الاقتصادية والنّفسية، على النّحو الذي تنبّه فيه الأمير لموقف الشّاعر علي بن جهم ووضعيته الاجتماعية والاقتصادية فعفا عنه وأرجأه حينا من الزّمن ، ثم دعاه فسمع منه شعرا مختلفا ، حين اختلفت البيئة والحالة النّفسية والاجتماعية والفكرية، إذ أنشد قائلا :

---

[1] – محمود عكاشة ، الرّبط في اللّفظ والمعنى ، تأصيل وتطبيق في ضوء علم اللّغة النّصي ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2010، ص 20. ، ص 21 .

[2] – حازم سعيد حيدر ، علوم القرآن بين البرهان والإتقان ، " دراسة مقارنة " ، مكتبة دار الزّمان للنّشر والتّوزيع ، المدينة المنوّرة ، السعودية ، ط1 ،(1420هـ) . 1999 م ، ص162.

[3] – محمد خليف خضير ، المعايير البلاغية في الخطاب النّقدي العربي القديم ، في القرنيين الرابع والخامس الهجريين دار غيداء للنّشر والتوزيع ، عمّان ، الأردن ، ط1 ، 2011 ، ص 124.

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري[1].

وينتبه إلى كلّ ملابسات المقام، ويقضا للمرجعية التي يستند إليها المتكلم، وهو يتلفظ بخطابه، ذلك أن الخطاب الأدبي خطاب تورية، بالقدر الذي يكشف فهو يخفي، فالخطاب الأدبي مختلف عن النصوص المقاصدية كالنّصوص الدّينية والقانونية، فالمؤلّف (المتكلّم) فيها لا يكاد يفصح عن رأيّه كلّيا[2]، عارفا بأجناس الخطاب، يمتلك رصيدا معرفيا يسمح له بالكشف عن خباياه . ويسبر أغواره.

كما يجب أن يكون نبها لسياق القول، ولعلّه من الجدير هنا استذكار نباهة الاعرابي ـ كما سبق الذّكر ـ إلى خطأ الأصمعي في قراءته للآية القرآنية، حيث تنبّه الأعرابي إلى العلاقة بين موقف الشّدة، وما تقتضيه من العزة والحكم، لا المغفرة والرّحمة.

وكما ذُكر آنفا، في قول مجاهد بضرورة معرفة المفسّر للغات العرب، فكذلك متلقي الكلام الإنشائي البليغ يستوجب عليه معرفة لغة العرب ليفرق بين الوضع والاستعمال، ذلك أنّ متلقي اللّغة الشعرية بخصائصها المجازية، وما فيها من عدول وانحراف عن المعيار للضّرورة الجمالية، فإنّ الكلام الإنشائي يتجاوز المعنى إلى معنى المعنى، سيما في الاستعارة والكناية والتورية وغيرها من أنواع المجاز الذي لا يدرك إلاّ بالاستدلال العقلي.

[1] – علي بن جهم ، ديوان علي بن جهم، مصدر سابق ، ص 220.

[2] – محمّد محمّد يونس علي ، علم التخاطب الإسلامي ، دراسة لسانية لمناهج علماء ألأصول في فهم النّص ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2006، ص 10.

4 – من جهة المقام

لعلّ أهمّ تعريف للبلاغة هو : " لكلّ مقام مقال " والبلاغة هي " مراعاة مقتضى الحال وقد نبّه السكاكي إلى ذلك، حيث قال: " فمقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، وكلّ ذلك معلوم لكلّ لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذّكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكلّ ذلك مقتضى يغاير مقتضى الآخر."[1].

فالمقام ذو أهمية بالغة في العملية التّواصلية ، إذ على ضوئه يبني المرسل رسالته وفي ضوئه يتلقاها المرسل إليه ، ويفكّ شفراتها ، سيما في الخطاب الأدبي ، ذلك أنّ اللّفظ الواحد قد يستعمل في خطابات عدّة ، فيكون له في كلّ خطاب دلالة جديدة ، ناهيك عن المبهمات من الحروف والضمائر والأسماء التي لا يعرف مدولها إلاّ بإحالة مقامية وتجوّز في الاستعمال والخروج عن الوضع مطلب رئيس في العملية الأدبية ، ذاك أنّ المبدع مطالب بابتكار معاني جديدة ، فالتّكرار ممجوج .

غير أنّ لا بدّ من التفريق بين سياقين، سياق خرجي، وهو سياق يقصد به لحظة التّخاطب بكلّ ملابساتها والعلامات غير اللّغوية المصاحبة للحدث الكلامي ، وهو ما يطلق عليه عموما لفظ المقام، وسياق داخلي أو سياق القول الذي يكون حاملا لقرائن دالة، وهو ما اهتمّ به المفسرون على وجه الخصوص في تأويل النّص القرآني، لاستخراج المقاصد

[1] – أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط3 2014، ص 256.

الشّرعية، ذلك أن القرائن ثلاثة أنواع لفظية ، حالية ، وعقلية . وإن كانت كلّها ـ في الأخير ـ من مقتضيات الحال[1]*.

بل إنّ السياق الدّاخلي قد يكون مخالفا للسّياق الخارجي العام أو المقام**، فيكون النّص متجاوزا الوعي السّائد، ليؤسّس لوعي جديد، وإن كانت هذه المخالفة تبدو في ظاهرها غير متوقعة في شكل مفارقة سياقية، فإنّ الاختلاف نفسه يمكن ردّه إلى السّياق الخارجي، فلا يكون النّص صدى بالقدر الذي يكون ردّة فعل[2] .

وإذا كان الجرجاني في دلائل الإعجاز قد جعل من القرآن الكريم كلاما يحمل مقاصد الله عقيدة وشرعا مرجعا ليبني نظرية النّظم، ويقول بترتيب الكلام حسب فكرة المتكلّم وقصده وإنّه إذا رتّب على نحو ما، فإنّه قد قصد ذلك ليوصل الخطاب إلى سامع يدرك تماما أنّ المتكلّم قصد ذلك بحسب ترتيب الكلام نحويا ونفسيا ، إلاّ أن غيره من الكلام حمّال أوجه لا يعرف فيه القصد، ولا تدرك حتى الفطنة إن وسعت صاحبها نيّة المتكلّم، فلعلّه يقع ضحية لتورية ما، وهنا يكون المخاطب أحوج إلى السّياق بكلّ ملابساته ليستدلّ على قصد المتكلّم ويعرف غرضه وقصده، فيفكّ سنن الخطاب ويؤوّل، وقد يتّضح هذا لا حقا في معرض الحديث عن الخطاب و الاستدلال العقلي في التراث البلاغي العربي.

---

[1]– محمد محمد يونس علي ، علم التخاطب الإسلامي ، مرجع سابق، ص 90، ص 91.

* – ابن تيمية عادة المتكلّم كقرينة دالة ، وهو في ذلك بلاشك يلتقي مع اتجاه الاسلوبية التعبيرية المعاصر في عدّ الأسلوب سمة فردية . ينظر : محمد محمّد يونس علي ، علم التخاطب الإسلامي ، المرجع السّابق ، ص 91.

**– ينظر: عبد الله الكدالي ، المقام والتواصل، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2019، ص 11.

[2]– نعمان بوقرة ، ملامح التفكير التّداولي البياني عند الأصوليين [مقال]، مرجع سابق ، ص 24.

هذا والحديث عن الأساس البلاغي في التّراث العربي حديث طويل بقدر الزّخم الفكري الذي استمر قرونا، تنوعت مشاربه ، ومذاهبه . وفي هذا المقام لا يُغفل ـ في الأخير ـ تنبيه الجاحظ لوجه الإعجاز في القرآن الكريم، فإذا كان الإنشاء البشري لا يتعدّى مقتضى الحال الظّاهر، فإنّ الخطاب القرآني يتجاوزه إلى مقتضى الحال الباطني ، ذلك أنّ الله محيط بعلمه الظّاهر والباطن. وقد تنبّه إليه الشّعراوي حديثا ، حيث يقول : " ولكن إعجاز القرآن يأتي في أنّه يحيط بالحالات النفسية للمخاطبين جميعا ."[1].

ويضعنا محمد محمد يونس علي ـ في كتابه؛علم التّخاطب الإسلامي[2] ـ أمام مخطط مهم يلخص وجهة علماء الأصول في النّظر إلى الخطاب من كلّ الجهات، يجدر أن ننقله في هذا المقام:

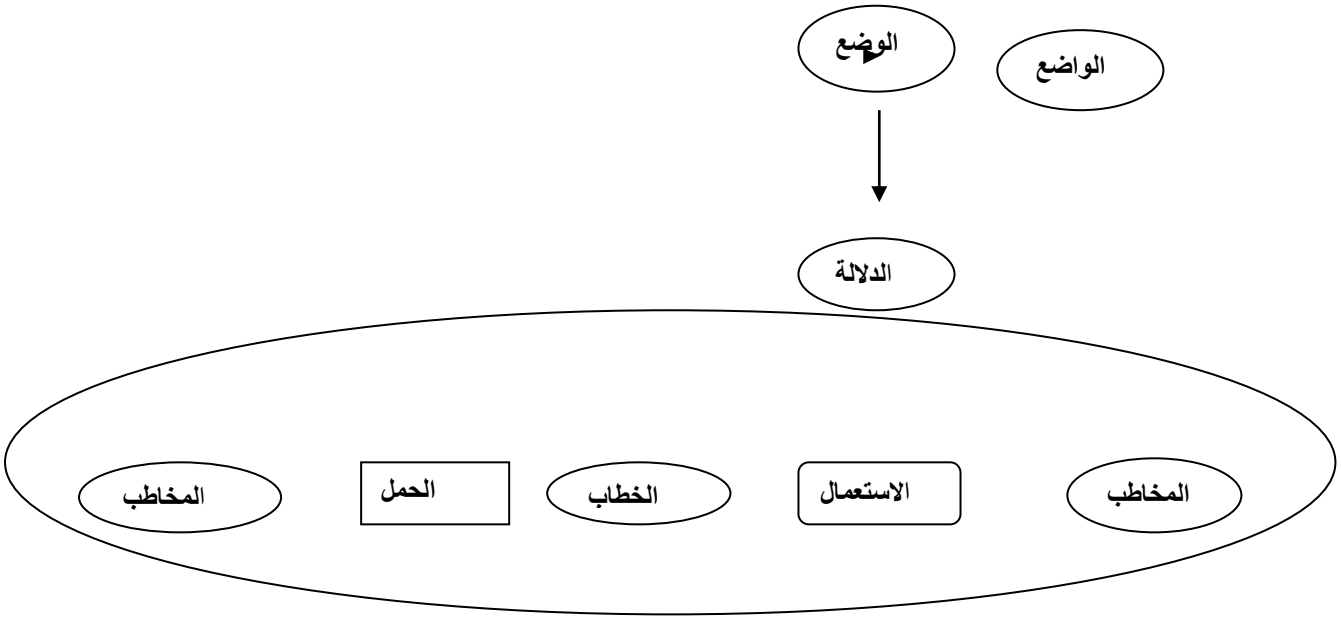

[1] – محمد متولي الشّعراوي ، معجزة القرآن . ج1 . أخبار اليوم إدارة الكتب والمكتبات ، القاهرة ، مصر ، دط ، دت ص35.

[2] – محمد محمد يونس علي ، علم التّخاطب الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 33.

هذا الجدول يبيّن عناية القدامى بالسّياقّ ، ذلك أنّ السّياق هو الظّروف المحيطة واللحظة التاريخية التي تجمع المتكلم بالمخاطب ويستعمل فيها المتكلّم اللغة استعمالا خاصا يعبّر عن قصد معيّن، ويخلق تصوّرا عند المخاطب قد يتطابق مع القصد كلّيا أو يتعدّاه إلى تأويل آخر.

المحاضرة الثّالثة

الخطاب والأساس النّحوي في التّراث العربي.

تمهيد:

تبيّن فيما سبق أن البلاغة في الكلام لا يقصد بها علم البلاغة فحسب وإنّما بلاغة الكلام ما جمع بين ثناياه النحو والبيان ، أي سلامة اللغة نحويا ـ كما تقتضيه الصّحة النحوية ، والاتساع في القول مجازا .

على أنّ النحو الذي تحدّث عنه الجرجاني في النظم، ربّما أوسع من سلامة الجملة نحويا ، بل يتجاوز ذلك إلى المناسبة بين الكلمة والموقف، وبين المفردة والنص في أجزائه ، من اتّساق معنوي.

فالأساس النّحوي هو الأخر يتطلّب النّظر من ثلاث مداخل؛ مدخل التّداول مدخل التركيب ، ومدخل البلاغة.

أ – المدخل الأول (مدخل التّداول):

إنّ النّحو أساسا يهدف إلى تحقيق استقامة الكلام ، وبالتّالي إلى تحقيق تواصل ناجح في جميع الخطابات، سواء أكانت مقصدية أو كانت خطابات مخاتلة، مخادعة ـ إن صحّ الوصف ـ فإذا كان الكلام الإرادي المقصود (اللّوغوس) يقتضي ترتيب الكلام على وعي الكاتب وحالته النّفسية ووفق ما يسوقه من حجة وبرهان، فإنّ الخطاب الآخر لا يعدم سبل النّحو وسلامة اللّغة نحويا أيضا.

وقيمة النّحو لخّصها صاحب الألفية في النّحو بقوله :

كلامنا لفظ مفيد كاستقم اسم وفعل ثم حرف الكلم[1].

فالقيمة المتوخاة إذن هي الإفادة ، والمقصود بالإفادة هنا هي حصول التّواصل بين المتخاطبين حصولا يكون فيه الفهم والإفهام. ولذلك اشترط النحاة العرب شروطا أسموها شروط الاستقامة [2]: وهي شروط لغوية وعقلية وواقعية ، وهي كلّها تفضي إلى صحّة الدلالة وهي:

1-المسقيم الحسن .

2- المسقيم القبيح

3 – مستقيم كذب

4- محال كذب .

وليس من المبالغة في شيء أن نقول: أنّ ميزة اللغة العربية بين سائر اللّغات أنّها أفصح وأبين، وقد وصف الله في كتابه الكريم اللّسان العربي، فقال جلّ شأنه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ(195)﴾[3]. والبيان في لغة العرب يكمن في امتلاكها منطقين منطق وجودي ومنطق لغوي.

[1] – محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي ، ألفية بن مالك في النّحو والصرف ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2016 ص 09.

[2] – أبو بشر عمرو بن عثمان (سيبويه) الكتاب (كتاب سيبويه)، ج1 . تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط3 ، 1988 ، ص 25.

[3] – القرآن الكريم ، سورة الشّعراء ، الآية 195.

وقد نبّه غلى ذلك سيبويه حينما تكلّم عن المستقيم القبيح إذ قال : " ولو قلت كان رجلا في قوم عاقلا "، لم يحسن، لأنّه يستنكر أن يكون في الدّنيا عاقل، وأن يكون من قوم، فعلى هذا النّحو يحسن ويقبح، [1]" إذ لا يمكن أن نطلق الحكم إلا على المعرفة ، فلا يجوز أن نطلق حكم العاقل على النّكرة . ولا يكون التّخصيص إلا بالمعرفة وليس بالتّنكير " قوم ". وهذه الاستقباح إنّما لجهل المخاطب بالقوم وبالرّجل، ولذلك فالنّحو وقوانينه إنّما بنيت على شرط التّفاهم الذي يقتضيه التّخاطب. فانظر قوله أيضا في تعليل الإخبار بالنّكرة عن النّكرة :" كقولك : " ما كان أحد مثلك ، وما كان أحد خيرا منك ." وإنّما حسن الإخبار ههنا عن النّكرة حيث أردت أن تنفي أن يكون في مثل حاله شيء أو فوقه ، ـ ثمّ يعلّل قائلا : لأنّ المخاطب قد يحتاج إلى أن تعلمه مثل هذا"[2].

وكما يسأل ولا يخبر عن حال إلا بمعرفة، كذلك لا يسأل النكرة إلاّ على صفاته فبعد المعرف أحوال وبعد النكرات صفات، ولا يكون المبتدأ إلاّ معرفة، إلاّ في الإنكار أو الاستفهام، وهما بذلك مراعة لذهن المخاط. فالتركيب النّحو للسان العربي يفصح عن الوجود.

ونتيجة هذا المنطق الوجودي للّسان العربي، اكتشف الجرجاني الفروق في الكلام حال النّظم، ويكفي العودة إلى القول في التقديم والتأخير، كمثال عن ذلك[3]. إذ ليس هناك فرق بين الاستفهام الطلبي والاستفهام الانكاري إلاّ أنّ الاوّل يطلب من الثّاني إجابة، وأمّا في

[1] – أبو بشر عمرو بن عثمان (سيبويه) الكتاب (كتاب سيبويه)، ج1 مصدر سابق ، ص 54.

[2] – أبو بشر عمرو بن عثمان (سيبويه) الكتاب (كتاب سيبويه)، ج1 مصدر سابق ، ص 54. بتصرّف

[3] – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، مصدر سابق ، ص 107 ، ص 108.

الحالة الثّانية فلا يطلب، وبذلك يكون الوضع استفهاما والاستعمال مجازا. الأول فعل إنجازي استفهامي، والثّاني فعل إنجازي إنكاري[1]. فليست العبرة في الكلام بالعنصر اللغوي والوظيفة التي يؤديها فحسب، وإنّما العبرة في السّياق الذي يتحكّم في وظيفة العنصر اللّغوي ، فالسياق هو الذي يرجّح ما إذا كانت أداة الاستفهام حقيقية أو غير ذلك. فليس هناك من النّاحية النّحوية في قولك :

هل سمعت الخبر الجديد؟.

وقوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ(1) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2)﴾[2].

إلاّ أنّ لا دلالة للعنصر اللّغوي إلاّ في لحظة التّخاطب ، فالمقام أو سياق التّخاطب هنا يغدو قرينة يعتمدها المخاطب ليستدلّ بها، فالمخاطب ركن أساس في عملية التّخاطب عند سيبويه[3]، والنّحو كلّه يستهدف المخاطب وذهنه أثناء توجيه الحكم أو إثباته أو نفيه أو إخباره ،،،إلخ .

2. مدخل التّركيب :

لا يمكن أن يكون ثمّة تواصل، ولا لسان ولا خطاب إلاّ إذا ضمّ الكلم إلى بعضه البعض، ضمّا يكون بعضه سببا في بعض، لا ضمّا كيفما اتّفق ، بل إنّ اللّغة كغيرها من الظّواهر

[1] – طارق المالكي ، عتبات التحليل النّحوي والبلاغي للقرآن الكريم ، مجلّة فقه اللّسان ، مركز ابن أبي ربيع السبتي للدّراسات اللغوية ، ع1، ،2017 ، ص 19، ص20.

[2] – القرآن الكريم ، سورة الغاشية ، الآية01.

[3] – اسعد خلف العوادي ، سياق الحال في كتاب سيبويه ، دراسة في النّحو والدّلالة ، دار ومكتبة الحامد للنّشر والتّوزيع عمّان، الأردن ، ط1 ، 2011، ص78.

مؤلّفة من عناصر تتعالق فيما بينها ، ويحكمها قانون عام يتضّمن قوانين فرعية كقوانين الصوت اللغوي ، والدّلالة ، والنّحو ، والتّأليف[1] ،،،، . إلخ.

إنّ اللّغة هي نظام من العلاقات كما قال سوسير ، وهذه النّظرة لم تكن بعيدة عن التفكير اللّغوي عند العرب القدامى، حيث رأى اللغويون العرب أنّ الحرف لامعنى له في حدّ ذاته إلاّ إذا ائتلف مع غيره[2]، فإن كان سوسير عدّ اللّسان ظاهرة اجتماعية واللّغة مجموعة من الرموز والإشارات الصوتية، والتي يجب أن تدرس ضمن علم أوسع هو السيميولوجيا ، فقد كان ابن جنى عرّف اللّغة كظاهرة صوتية واجتماعية كذلك:" هي أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم."[3].

فاللّغة هي أصوات، وقد انتبه الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى ذلك من قبل ، حينما بنى معجمه (كتاب العين) عن طريق التقليبات الستّة ، فاشتقّ من الجذر الصوتي، وولّد كلمات جديدة، حيث إنّ كلّ قلب يولّد دلالة جديدة ، فقيمة العنصر اللّغوي إنّما تكون بحسب

[1] – فرديناند دي سوسير ، علم اللغة العام ، ترجمة : يوئيل يوسف عزيز ، مراجعة : مالك يوسف المطلبي ،آفاق عربية ، بغداد العراق ، ط1 ،1985، ص34.

[2]– أحمد كروم ، الاستدلال في معاني الحروف – دراسة في اللغة والأصول، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 2009 ، ص 16.

[3] – أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، ج1 ، تحقيق :محمد علي النّجار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر دط ، دت ، ص33.

موقعه ووظيفتها. ومن ذلك اهتمامه أيضا بالأصوات المجاورة، والحركات التي اعتبرها بضع من حروف المدّ، أضافة إلى عنايته بمخارج الأصوات، وعنايته بالصّرف والدّلالة أيضا[1].

فالكلمة في التّراث النّحو ـ كما يشير إليه بيت ابن مالك ـ هي ما تمّت به الفائدة ، سواء أكان مزيدة بحروف سابقة أو لاحقة . وإن كان البعض يحترز عن إضافة الحروف الزائدة (الأصوات)، على النّحو الذي ارتضاه الخليل حينما عزل حروف العلّة عن بنية الكلمة الأصلية ، بل جعلها مؤثّرة وظيفية [2]،

وبناء على ما سبق، فإنّ الجهد اللغوي في التّراث العربي كان وظيفيا ودلاليا، إذ كلّما تغيّرت بنية الكلمة وتغيّر نطقها تغيرت الدّلالة ، ولعلّه من الجدير بالذّكر هنا أن نسوق مثالا عن فطنة العرب لما للّحن اللغوي من أثر في الدلالة ، وهذا المثال الذي يعدّه البعض سببا في التقعيد النّحوي العربي[3]، حيث سمع أبو الأسود الدؤلي رجلا يقرأ قوله تعالى : ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. (03)﴾ [4]، إذ قرأ : ،،، أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ،،، بكسر اللاّم في(رسوله) بدلا من الرّفع.

---

[1] – محمّد جواد النّوري ، من لسانيات اللّغة العربية ، علم الأصوات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 2019، ص 70، ص71.

[2] – علاء جبر محمد ، المدارس الصوتية عند العرب ، النّشأة والتّطوّر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 2006 ، ص47.

[3] – وليد عاطف الأنصاري ، نظرية العامل في النّحو العربي ،عرضا ونقدا ، دار الكتاب الثّقافي ، أربد ، الأردن ، ط1 2004 ، ص 10.

[4] – القرآن الكريم ، سورة التّوبة ، الآية 03

وقد كان اهتمام اللغويين العرب بالأصوات لا ينحصر على الوظيفة ولا على بنية الكلمة فحسب، بل تعدّاه إلى اثر الصّوت على ذهن المخاطب لحظة التّخاطب، فكلّ تغيّر في حركة الإعراب يصحبه توليد دلالة جديدة مغايرة [1].

وإذا كانت الكلمة هي تآلف أصوات، فإنّ الجملة هي الاخرى تآلف لها ، وتأليف بين الكلمات على نحو ما ، تقتضيه الفكرة، والمقام حينا، كما تقتضيه سلامة التّركيب نحوا وبلاغة ، ولذلك لا تتمّ الفائدة إلاّ بتركيب نحوي تكتمل به الوحدات اللغوية في الجملة في علاقة إسنادية ، أو تركيبية يتمّ بها المعنى ، ولا يتجلى هذا إلاّ في باب الفصل والوصل الذي شكّل محور القراءات القرآنية ، سيّما فيما يتعلّق بالوقف ، إذ لا يمكن أن يتوقّف القارئ إلاّ بتمام المعنى والإسناد ، فلا يتوقف عند المضاف ، أو عند حرف الجر ، أو على مبتدأ أو على نعت دون أن يتمّ الاسناد أو يتبعه بمتبوعه[2].

ففي النّحو يجب أن يكون لأيّ فعل فاعل، وأن يكون لأي مبتدإ خبرا ، أمّا البلاغة فتكمن في التّركيب وعلاقته بمقتضى الحال وبؤرة الكلام، وسنأتي على ذلك لاحقا. ولذلك هناك من رأى أنّ الفعل (عفا) ليس بلفظ مفرد، وإنّما هو جملة، ذلك انّ فاعله مقدّر، فهو مفرد شكلا لا معنى[3].

---

[1] –عبد الصّابور شاهين ، أثر القراءات في الاصوات والنحو العربي ، أبو عمرو بن العلاء ، مكتبة الخانجي للنّشر والتّوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1987، ص 354.

[2] – أبو بكر محمد الأنباري ، كتاب إيضاح الوقف والابتداء ، تحقيق: محي الدّين عبد الرحمان رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سوريا ، 1971، ص 116– ص 121.

[3] – البشير التّهالي، تعريف المصطلحات في الفكر اللّساني العربي ، أسسه المعرفية وقواعده المنهجية ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2007، ص 94.

فالتّركيب اللغوي السّليم لا يخرج عن شروط الفصاحة وشروط الاستقامة التي نبّه إليها سيبويه، ويجب أن تحمل وتقاس على الوضع، أي أنّ أي استعمال للّغة يجب أن يكون بالقياس مع أساليب العرب، وإنّ كان شاذّا [1].غير أنّهم ألحوا على وجوب مراعاة المخاطب، فاشترطوا المواضعة في الخطاب لتجنّب التشويش على الخطاب، وافتراض تبادل الأدوار أثناء المحادثة ، إذ لا يجوز أن يخاطب السّامع بسنن لا يحيط به علما.

ثمّ أنّ المصطلح النّحوي لم يكن ناتجا عن النّظر إلى رتبة اللفظ في الكلام فحسب، بل إنّه جاء ليعيّن الوظيفة ، إخبارا وتعريفا وتخصيصا وتمييزا ونعتا وحالا وظرفا ،، إلخ .وميّزوا بينها بالنّظر إلى العلاقة بين الوحدات اللّغوية من حيث السّببية أو العلاقة المعنوية أو التّداولية، ومن ذلك تفرقتهم مثلا بين الحال والصّفة ، في الثبات والتّغيّر، والجزئية والكلّية فالحال متغيّر جزئي العلاقة بصاحبه فهو هيئة فحسب و متغيرة ، في حين الصفة ثابتة ولصيقة بصاحبها[2].

3 – المدخل البلاغي :

[1] – عبد الرّحمان الحاج صالح ، الخطاب والتّخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية ، مرجع سابق ، ص 234 ص235.

[2] – كريم حسين ناصح الخالدي ، نظرية المعنى في الدّراسات النّحوية، دار صفاء للنّشر والتّوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 2006 ، ص 38.

لقد سبقت الإشارة أنّ النّظم البليغ إنّما ما التزم بمقتضيات النّحو وقوانينه ومناهجه، وأنّ البلاغة هي مراعة مقتضى الحال، ولذلك فإنّ كل استعمال لغوي في التّركيب الاسنادي يقتضي مراعاة ذهن المخاطب[1]، ذكرا وحذفا وتقديرا وتخصيصا أو إطنابا وإيجازا.

فالتّتابع الخطّي للوحدات يجب أن يكون متعالقا تعالقا نحويا أو سببيا، أو تداوليا، ذلك أنّ المخاطب يعيد تتبّع توزيع الوحدات اللغوية، والمؤشرات والإحالات والرّوابط، أو ينظر في مجال الخطاب ،إذ لاشكّ أنّ المخاطب يدرك حتما العلاقة بين الضمير العائد (هم) والمبتدأ (الطلبة) في الجملة الآتية: " الطلبة وقّاد ذكاؤهم.". كما يدرك السّامع أن المبتدأ (الطلبة) هو محور الكلام والباقي أو المسند وظيفته الإخبار. وإن كان أحمد المتوكّل أخرج فرّق بين المبتدأ و**المحور(topique)** فأخرجه تداوليا من الجملة[2]، لكن بالعودة إلى الجرجاني في قصدية القول يمكن اعتباره محورا أساسا[3]، ذلك أنّ السامع لا يمكن أن يتلقى الخبر إلاّ إذا كان يعرف المخبر عنه، وهو هنا قد ورد معرفة، ما يعني أنّ المتكلّم والمخاطب يتّفقان في الإحالة، ذلك أنّ السّامع ـ كما سبقت الاشارة آنفا ـ أنّ هذا الاستعمال لا يصلح إلاّ لهذا الموقف ويعبّر عن قصد المتكلّم، لأنّ القدامى انطلقوا من خلفية نصيّة مقدّسة في استنباطهم لأسرار البلاغة وقوانين وقواعد النّحو استعمالا، فضلا عن التّقعيد المعياري.

---

[1] – صابر حباشة ، ن قضايا الفكر اللساني في النحو والدلالة واللسانية، دار صفحات للدّراسات والنّشر ، دمشق ، سوريا ط1 ، 2009، ص 20.

[2] – أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، دار الثقافة ، الدّار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 1985، ص70.

[3] – فضاء ذياب غالب الحسناوي ، الأبعاد التداولية عند الأصوليين : مدرسة النّجف الحديثة أنموذجا ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2016 ، ص 15.

والحديث عن الإحالة والرّوابط يجرّنا إلى موضوع السّبك والحبك أو الفصل والوصل، أو كما سمّاه الجاحظ بالنّسج، وإن كانت هذه المصطلحات مختلفة من حيث المنظور، وهي شروط نصيّة النّص عن القدامى، إذ كلّها تشي بضرورة اتّساق الكلام وانسجامه، مثلما تبلور في لسانيات النّص المعاصرة تماما[1].

وكلّ تركيب يأخذ بعين الاعتبار حال المخاطب وشروط النّحو، فإنّه بليغ، ذلك أنّ البلاغة هي أن تبلّغ مرادك إلى السّامع بأقصر جهد. وعلى المخاطب أيضا أن يدرك بأنّ المتكلّم قد قصد إلى هذا التّركيب ليعبّر به عن أحوال النّفس (الفكر). إذ عليه أن يضع في حسبانه أنّ المتكلّم قد قصد إلى تّركيب الاستعاري أو عقد مشابهة أو إلى كناية أو غيرها من أنواع المجاز[2].

ولعلّ الحديث عن بلاغة الكلام لا تتّضح إلا بالحديث عن الاستدلال العقلي الذي يتكئ عليه المخاطب (القارئ / السامع) استنادا لقرائن لفظية وغير لفظية، وهذا الاستدلال العقلي سواء أكان تركيبا نحويا أو تركيبا بلاغيا مجازيا، أو معنويا من قبيل تجاوز اللفظ إلى الفحوى والمقصد،،، إلخ.

المحاضرة الرّابعة

الاستدلال العقلي والخطاب في التراث البلاغي العربي

[1] – جاسم علي جاسم ، أبحاث في علم اللغة النّصي وتحليل الخطاب ، مراجعة : زيد علي جاسم ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2018، ص14.

[2] – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، مصدر سابق ، ص 462.

تمهيد :

ثمّة علاقة كبيرة بين اللغة والعقل والمعرفة والحضارة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ(31)﴾. فمقوما الحضارة من خلال الآيتين الكريمتين اللّغة والعقل المشكّلان للمعرفة الإنسانية . فالاستخلاف هو عمران الأرض وبناء الحضارة ، واللغة والعقل أسبابها وأدواتها، ولذلك فإنّ اللغة تحتاج دوما إلى عقل ، والعقل أيضا في حاجة دوما إلى لغة .

إنّ الرّبط بين الآيتين السّابقتين لاستخلاص نتيجة في ضوء قرائن لفظية ومنطقية وسياق الكلام هو ما يمكن تسميته بالاستدلال العقلي. وقد كان الاستدلال العقلي من أكثر آلية من الآليات التي اعتمدها المفسرون وعلماء الكلام والبلاغيين والنّحاة جميعا في قراءة النّص وفهم الخطاب وتأويله. ولا سيّما أصحاب الاتجاه العقلي كالمعتزلة [1].

وقد كان الاستدلال العقلي عند الأصوليين سيّما في علاقة اللّفظ بالمعنى، أو الحقيقة والمجاز، والمجمل والمفصّل، والعلاقات السّببية. و استخراج الاغراض والمقاصد، فكان آلية من آليات تأويل الخطاب القرآني، ذلك أنّ القرآن جاء لأغراض ومقاصد تحتاج إلى استنباط عقلي، فالقصص القرآني مثلا لم يأت من أجل المتعة، ولا من أجل ذكر الأخبار والتّفاصيل

[1] – نصر حامد أبو زيد ، الاتجاه العقلي في التّفسير ، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 1998، ص 182.

وإنّما جاء للعبرة والتّرغيب والتّخويف وتقديم الحجّة والبرهان، أو المواساة والتّبشير، وما إلى ذلك المقاصد المختلفة التي تختلف بحسب سياق الكلام والمقام والموقف[1].

فالاستدلال العقلي جوهر البلاغة به يمكن للسّامع إعادة بناء الخطاب، والوقوف على الرّوابط المعنوية واللّفظية بين الجمل والنصوص، وبين الكلام والسياق والقام، والموقف المعبّر عنه، والخلفية الفكرية التي ينهض فيها الخطاب، والمقاصد التي يرمي إليها، وأفعال الكلام التي يتضمّنها، ذلك أنّ الخطاب لا يصرّح دوما بخلفياته ، ولا يصرّح دوما بمقاصده بل يضلّ مفتوحا على التّأويل ، كما لا يصرّح أيضا بالمعنى، بالقدر الذي يورّيه، ذلك أنّ البلاغة الانشائية تستدعي الاتساع في الكلام .

أ- الاستدلال العقلي في النّحو :

يستخدم المخاطب الاستدلال في التركيب النّحوي تقريبا في كلّ عبارة، ذلك انّ اللّسان العربي ـ كما سبق الذكر ـ لسان له منطق وجودي ومنطق داخلي، ومن هذا القبيل تفرقة النّحاة بين حركات الاعراب بين النصب والرفع والجزم والجرّ في حالة الإعراب، والفتح والضمّ والسكون والكسر في حالة البناء، والعلّة أنّ الإعراب لا يكون إلاّ بعامل ، أي ما تأثّر بالعامل فهو معرب، ومالم يتأثّر فهو مبني[2]. أي باق على هيئة واحدة . وكثيرا ما كانت تعليلات النّحاة مرتبطة باتّجاههم الفلسفي [3]. ولذلك فإنّ استدلال النّحاة في كثير من القضايا

[1] – محمود عكاشة ، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة: دراسة تطبيقية لأساليب التأثير و الإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، دار النّشر للجامعات ، القاهرة ، مصر، ط1 ، 2013، ص191.

[2]– إدريس مقبول ، سيبويه معتزليا : حفريات في ميتافيزيقا النّحو العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة ، قطر، ط1، 2015، ص130.

[3]– المرجع نفسه ، ص 133، 134.

في مرحلة التقعيد ووضع قوانين السّلامة اللّغوية من اللّحن كان مبنيا على وجهة نظر فلسفية تتجاوز مجرد الوصف اللّغوي.

وإذا كان هذا ديدن النّحاة لحظة وصف اللّغة، ووضع معايير الاستقامة النّحوية وشروطها، فإنّ المخاطب يجب أن يراعي هذه الشّروط ومقتضياتها، ويتتبّع التّركيب النّحوي لحظة استعمال اللّغة، فيعمل عقله ليؤوّل الكلام، فيستدّل على المضمر والمحذوف والتقديم والتأخير، وما إلى ذلك من صيغ التّراكيب التي صاغ المتكلّم خطابه فيها ، ونستعمل هنا لفظ الخطاب لأنّ السّامع أو القارئ (مستقبل الرّسالة) هو من يستكمل في ذهنه الجملة أو النّص ويحوّل ويؤوّل.

ولنعد لألفية بن مالك ، حيث يقول :

والاسم منه معـــــــرب ومبني لشبه من الحروف مدني

كالشبه الوضعي في اسمي جئتنا والمعنوي في متى وفي هنا[1] .

فالمستمع عن طريق الاستدلال العقلي يدرك أنّ الحرفين (ت/ نا) المتّصلين بالفعل (جاء) إنّما هما بمنزلة الاسم، وأنّ حرف الهاء في (منه) هو بمنزلة الاسم، ويعود على الاسم فيربط الكلمة الثّانية بالأولى إحالة ، حتّى لا يعاد تكرار لفظ(الاسم) مرّة أخرى . وكذا حذف كلمة (شبه) بعد حرف العطف الواو في الشّطر الثّاني (والمعنوي) من البيت الثّاني، ذلك أنّ الجملة معطوفة على الجملة الأولى.

[1]– محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي ، ألفية بن مالك في النّحو والصرف ، مصدر سابق ، ص 10.

وقد لا يكون الحذف أو الاضمار دوما خشية الوقوع في التّكرار المملّ ، إذ اللسان العربي يميل إلى اللّين ، بل إنّ البيان هو الإيجاز دون خلل، وإطناب دون ملل، بل إنّ : " في طبع اللّغة أن تُسقط من الألفاظ ما يدلّ عليه غيره، أو ما يرشد إليه سياق الكلام أو دلالة الحال، وأصل بلاغتها في هذه الوجازة التي تعتمد على ذكاء القارئ أو السّامع وتعوّل على إثارة حسه، وبعث خياله وتنشيط نفسه، حتى يفهم بالقرينة ويدرك باللّمحة ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التّعبير."، يقول محمد أبو موسى في كتابه :(خصائص التّراكيب)[1].

ويسوق محمد أبو موسى في كتابه ـ المذكور آنفا ـ نكتا عديدة للحذف في مواضع مختلفة سواء استدعاه التّركيب اللّغوي أو الحال، أو الغاية البلاغية ، ومن النّكت الجميلة التي ساقها حذف جزء الكلمة في الجملة، وما فيه من بلاغة، في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ(77)﴾ من سورة الزّخرف[2].

وقد مرّ بنا أيضا فيما سبق ـ كعطف على ما قيل ـ أنّ اللغويين قد اختلفوا في حدّ اللفظ المفرد، وكنّا مثّلنا للفظ المفرد بلفظ (عفا) فمنهم من نظر إليه من جهة الشّكل فهو مفرد أمّا من حيث الدّلالة فهو فعل ، ولكلّ فعل فاعل، ولذلك قال بعض اللغويين أنّه ليس بمفرد

[1] – محمد أبو موسى ، خصائص التّراكيب ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، دار التّضامن للطّباعة ، ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1980 ، ص 111.

[2]– القرآن الكريم ، سورة الزّخرف ، الآية 77.

ذلك أنّه جملة ، والفاعل هنا مقدّر (هو)، وهذا ما أدّى إلى التفرقة بين اللفّظ والملفوظ أو الفرق عند النحويين القدامى بين حدّ اللفظ وحدّ الكلمة[1] .

وإذا كانت الفروق في الحال والخبر والنعت، وما إلى ذلك من أحوال الكلام، وكلّ صيغة منها أنسب منها إلى موقف دون آخر، فإنّ المتكلّم يجب أن يدرك العلاقة بين الصيغة النّحوية والموقف المعبّر عنه، وذلك بإلمامه بالوضع وحمل الشّيء على الشّيء لحظة استقبال الكلام أو لحظة التّعبير عن احوال النّفس والأفكار. ذلك انّ التفاهم لابدّ حادث بالمواضعة، فإذا كانت الأصوات صور لما في النّفوس من أحوال لا صور عمّا هو خارجها فلابدّ إذن؛ من جامع لما هو مختلف، فتحمل المختلفات على ما هو مؤتلف بالوضع (الاصطلاح)[2]، وكذا حمل بعض العبارات التي جرت بها ألسن الناس وكثر استعمالها على الأصل، كمرحبا، وأهلا وسهلا، وما إلى ذلك من التعابير الشّائعة إذ يقول سيبويه : " الشّيء إذا كثر في كلامهم كان له نحو ليس لغيره مما هو مثله ."[3]، إضافة إلى وجوب لمقام الخطاب وأحوال المتكلّم (نفسيته، موقعه، مرجعيته ،،،،) إلخ .

هذا الاستطراد يبدو ناشزا للوهلة الأولى، ولكن استعمال اللغة اثناء التّخاطب تتمّ فيه عمليتا التوليد والتّحويل، اي تجاوز الوضع إلى الاستعمال، وهذا التّجوّز في الاستعمال هو

---

[1] – محمد علي التّهانوي ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ،ج2 (ص/ي) إشراف ومراجعة : رفيق العجم تحقيق : علي دحروج ، تعريب : عبد الله الخالدي ، التّرجمة الاجنبية : جورج زيناتي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ط1 ، 1996، ص 1610.

[2] – عبد الرّحمان الحاج صالح ، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية ، مرجع سابق ، ص 183.

[3] – ينظر : غازي مختار طليمات ، أثر التأويل النّحوي في فهم النّص ، [مقال] ، مجلّة كلية الدراسات الاسلامية والعربية ، ع15 ، دبي ، الامارات العربية المتحدة ، 1998 ، ص272.

من يفرض على المتكلّم والسّامع في آن واحد القياس وحمل الشّيء على الشّيء، والتي لا تكون إلا بالاستنباط العقلي، أي إنزال المسألة الثانية في حكم المسألة الأولى، وهو أمر كان معروفا في الفقه وأصول الدّين. ومن هذا ـ ولرفع اللّبس ـ مسألة إعمال المصدر أو الصّفة المشبهة و الاسم المشتق، مثلا ، فالمعروف انّ الاسماء لا تعمل ، وإنّما الأفعال والحروف هي العاملة، فإنّها ترفع فاعلا و تنصب مفعولا ، ولذلك فإنّها تحمل محمل الفعل[1].

ب – **الخطاب والاستدلال العقلي في البلاغة:**

لعلّ في هذه الجزئية بالذّات يتّضح الفرق بين النّص والخطاب، فالنّص هو الملفوظ شفويا أو مدوّن كتابيا، أمّا الخطاب فينبني على الاستدلال العقلي، لأنّه يبحث في المضمر أكثر ممّا يبحث فيما هو مصرّح به ، خاصّة في النّصوص الانشائية، حيث يكون الغوص إلى معنى المعنى[2]، يحتاج إلى آلية الاستدلال، فالنّصوص الانشائية تختلف عن القانونية والدّينية والعلمية التي قد يتساوى فيها اللفظ بالمعنى. والغوص إلى معنى المعنى عبر آليه الاستدلال يتطلّب البحث عن القرائن المؤوّلة لفكّ السّنن .

ومادام قد ذكرنا سابقا أنّ النّظم عند عبد القاهر الجرجاني هو مراعاة مقتضيات النّحو، فإنّ بلاغة الكلام لا تفصل بين ما سمي في علوم البلاغة بين النّحو وعلم المعاني وعلم البيان، وهذا الفصل هو فصل إجرائي توضيحي فقط ، فبلاغة الكلام محتاجة لهم ـ في الآن ذاته ـ لا تستقيم إلاّ بهم فلا تخرج عنهم.

---

[1] – رابح بومعزة ، التّراكيب النّحوية العربية (صورها وأساليب تطوير تعليمها)، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنّشر والتّوزيع ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 2014، ص73

[2] – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، مصدر سابق ، ص 441، ص 442.

فخذ مثلا عن الف لام التّعريف (ال) الجنسية في هذا المثال : أنت الشّجاع ، أو أنت الشّجاعة كلّها، فقد جمعت في الخبر كلّ ألوان وأصناف الشّجاعة ، وهذا لا يعرف إلاّ بمعرفة المواضعة، أي التّفرقة بين (ال) الجنسية عن غيرها من الألف و اللام (ال) العهدية والموصولة مثلا. فالاستدلال ـ في هذا الاستعمال ـ يكمن في تجاوز الشّجاعة إلى المبالغة فيها. ذلك أنّ الحديث ليس حول أنواع الشّجاعات وألوانها، وإنّما معرفة الآخرين الموصوفين بالشّجاعة لكنّهم لم يصلوا إلى شجاعتك أنت، كأنّ كلّ واحد منهم قد حاز جزءا من الشّجاعة أمّا أنت فقد ملكت الشّجاعة كلّها ، فتفوقت ونلت السؤدد عليهم جميعا.

والجرجاني يرى أنّ قوام النّظر إلى الفصاحة ليس في اللفظ وإنّما في المعاني ، ذلك أنّها أسبق في نفس المتكلّم وعلى ضوئها يتخيّر اللفظ ، ويكفي بالاستعارة والكناية والمجاز العقلي برهانا على ذلك، حيث لا مزيّة لمعنى اللّفظ، أو المعنى الأوّل، وإنّما المزيّة في المعنى الثّاني المخبوء، والذي يحتاج إلى إعمال ذهن نبه يتفطّن للفكرة[1] .

ويسوق الجرجاني العديد من الامثلة في الاستدلال العقلي، وإن غير أنّه يركّز على الجانب التّركيبي، في حين الاستدلال يتجاوز مجرّد تتبّع التّركيب اللّغوي إلى وجوب النّظر إلى المقام، أو سياق الخطاب، والموقف وثقافة المتكلّم، وبيئته، وما إلى ذلك من القرائن، وهنا لابأس بالعودة إلى عليّ بن جهم في نكتته مع الأمير، حينما مدحه في وفائه وشجاعته واصفا إياه بالكلب والتّيس، فتنبّه الأمير إلى بيئة المتكلّم، فعرف أنّه يتكلّم عن سجيته، فأمهله بالرّصافة فترة ، فسمع منه شعرا آخر يتلاءم والبيئة الجديدة.

[1]– عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، مصدر سابق ، ص 441، ص 442.

والاستدلال قد يعتمد على قرائن لفظية أو حالية، وخاصة إذا تعلّق الأمر بالسّخرية أو التهكّم ، أو ما عرف في البلاغة العربية قديما بالذّم في قالب المدح ، ومنها قوله تعالى في أمر أبي جهل :﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ.[1](49)﴾. فهذه الآية نزلت في حقّ أبي جهل[2] ، فحاله في عذاب جهنّم يتعارض مع العزّة والكرم الذي يدّعيهما في قومه. حيث إنّ السّياق سيقلب الدلالة إلى الحقير الذّليل[3].

وقد يكون الاستدلال العقلي ناتج عن التزام منطقي أو عرفي أو مجرّد اعتقاد لدى المخاطب اعتقده في كلام المتكلّم ، يقول السّكاكي : " ولا يجب في ذلك التّعلق أن يكون ما يثبته العقل، بل إن كان مما يثبته اعتقاد المخاطب، إمّا لعرف أو لغير عرف ، أمكن المتكلم أن يطمع من مخاطبه، ذلك في صحّة أن ينتقل إلى ذهنه من المفهوم الأصلي إلى الآخر بواسطة ذلك التّعلق بينهما في اعتقاده." [4].

وعلى هذا النّحو من اللّزوم يكون الاستدلال قد شمل التضمين والاضمار والحذف والمجاز. والاستدلال يعود إلى قضية جوهرية وهي ثبات المعنى وتعدد الفهم ، فالمعنى الذي يقصده المتكلّم قد لا يتحقّق قصده كما هو في أذهان السّامعين كلّهم، وفي كل الأوقات

---

[1]– القرآن الكريم ، سورة الدّخان ، الآية 49.

[2] – ابو جعفر محمد بن جرير(الطبري)، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، مج 11، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2013، ص246.

[3] – محمد العبد، المفارقة القرآنية: دراسة في بنية الدلالة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، مصر ، ط1 2013 ، ص40.

[4] – السكاكي ، مفتاح العلوم ،مصدر سابق ، ص 437.

ذلك أنّ الفهم أو المدلول متعدد، نتيجة اختلاف التصورات الذهنية للشّيء أو للقضية [1] تماما، أو ربّما يكاد يشابه، ما جاء به في الفلسفة الغربية هوسرل في ظاهريته[2]. بل إنّ الاستدلال ولا سيما في المجاز وهي قضية أثارت ـ كما سبقت الاشارة ـ نقاشا حادّا عند الفلاسفة والمتكلّمين والبلاغيين اللغويين خاصة في النّص القرآني، جعل من المعتزلة يثيرون قضيّة الفرق بين الدليل العقلي والدليل اللغوي ، ومن ثمّة اختلاف الدّلالة[3].

هذا والحديث عن الاستدلال العقلي عند الفلاسفة المسلمين، والبلاغيين والمفسرين والنّحاة هو الآخر حديث لا يسعه المقام ، بل ربّما لا يسع الحديث عنه حتى في علم واحد من هذه العلوم.

[1] – فخر الدين الرازي ، المحصول في علم أصول الفقه، ج1 ، تحقيق : طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة ، دط دت ، ص 201.

[2] – ينظر : بول ريكور ، من النّص إلى الفعل ، أبحاث التأويل ، ترجمة : محمد برادة ، حسان بورقية ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، القاهرة ، مصر، ط1 ، 2001 ، ، ص50.

[3] ـ نصر حامد أبو زيد: الاتجاه العقلي في التفسير ، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة ، مرجع سابق ص 182.

المحاضرة الخامسة

التحليل اللّساني للخطاب

توطئة:

إنّ الحديث عن التحليل اللساني للخطاب هو حديث يجرّنا أولا إلى الحديث عن علم اللسان وهو علم معاصر يختلف تماما عن فقه اللغة أو الفيلولوجيا، علم له موضوعه وحدوده وغاياته، كان لدي سوسير السّبق في تحديد موضوع العلم وغاياته وحدوده ، بعدّه المؤسس الاول لهذا العلم.

فكثيرا من الباحث اللغوية والمتعلقة بالنّصوص وبالكلام عموما تتجاذبها علوم مختلفة وعلى رأسها الفلسفة، وفقه اللغة، والتاريخ، والنحو المقارن، وغيرها من العلوم، إلى أن انتهى المطاف إلى الدّرس اللساني المعاصر الذي يرتكز على حصر موضوع الظاهرة وتتبع شروطها، وقوانينها، والبحث عن العلاقات التي تجمع عناصرها، فأصبح موضوع الدرس وغايته هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها.

أ – الخطاب في اللّسانيات المعاصرة:

تباين مفهوم الخطاب في الدّراسات اللّسانية المعاصرة نتيجة تعدّد المشارب وتباين زوايا النّظر واختلاف المرجعيات .

1 ـ الخطاب عند فردينان دي سوسير :

كنا ألمعنا ـ فيما سبق ـ إلى تلك الثنائيات التي نبّه إليها دي سوسير أثناء محاضراته في علم اللغة العام، والتي تشكّل محور الدّرس اللّساني، كثنائية الدّال والمدلول، والتركيب والاختيار، والتاريخي والتّزامني، واللّغة والكلام.

إذن، فرّق دي سوسير من خلال تفرقته بين اللغة والكلام ما بين العلم الذي سيتناول اللغة وهو علم اللغة العام ، والعلم الذي سيشكّل الكلام محور دراسته ، فهما علمان متمايزان تمايز اللغة عن الكلام، فكلّ علم له موضوعه المخصوص وآليات دراسته ومنهجه ، وإذا كانت اللغة هي الثابت والجوهري والاجتماعي، فإنّ الكلام هو العرضي المتغيّر والفردي وهو الخطاب عنده (سوسير) . فلسانيات اللّغة تختلف عن لسانيات الخطاب[1].

وإن كان سوسير يبني دراسته للغة على أساس من تمركز الصوت (اللوغوس) أي إرادة المتكلّم في التعبير وحضوره ، إلاّ أنّه يفتح الدّلالة ، ذلك أنّ ليس هناك معنى بقدر ما هناك فهم من قبل المتلقي، أو انطباع ما تتركه الصّورة الصّوتية في ذهن السّامع، وهو في ذلك يلتقي بفلسفة هوسرل الفينومينولوجية، والتّصورات الذّهنية للعالم عند كانط[2] اللتان تشكّلان الخلفية الفلسفية للبنيوية المعاصرة.

وعلى الرغم من كون الخطاب هو الكلام إلا أنّه يمثّل الجانب الحيوي للّغة ولا ينفصل عنها، وبالتّالي يكون النّظر في لغة الخطاب إلى العلاقات التي تربط بين الوحدات اللّغوية أفقيا وعموديا، في الجملة، باعتبارها الوحدة الكبرى القابلة للوصف، و التّركيب اللّغوي أفقيا وعموديا يمثّل قصدية المؤلّف، ومادام الكلام حاملا لقصدية المؤلّف، فإنّه يغني عن تتبّع المؤلّف (المتكلّم) ، بل يعزله ، ليبقى التّركيب اللّغوي هو موضوع الدّراسة، وأمام اعتباطية العلاقة بين الدّال والمدلول، فإنّ دي سوسير بالقدر الذي جعل القصدية مركزا نتيجة حضور

[1] - Jean-Paul Metzger, Le discours: Un concept pour les sciences de l’information et de la communication, ISTE Group, london , 2019, p34.

[2]– أحمد عبد الحليم عطية ، كانط وأنطولوجيا العصر ، دار الفرابي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2010، ص 351.

الصوت(اللّوغوس)[1]، إلاّ أنّه في النّهاية يكون قد منح المتلقي مساحة للفهم بحسب تصوّراته للعلاقة بين للدّال اللّغوي ومدلوله[2].

2- الخطاب عند ميخائيل باختين (السوسيولسانيات):

تشكّل الماركسية الارضية التي أينعت في رحابها اللسانيات الاجتماعية ، وجلّ أفكار باخين في طرحه اللّساني على وجه الخصوص، فإذا كان ديكارت يرى بأنّ العقل هو المشكّل للواقع ، أي الوعي هو الذي ينعكس على الواقع، فإنّ ماركس في جدليته يقلب الموازين، ويجعل الوعي انعكاسا للواقع[3].

فإذا كان سوسير أهمل الكلام لصالح اللغة بهدف تحديد الدرس اللغوي الجديد وموضوعاته، وأقام درسا قوامه الوصف التّجريدي[4]، فإنّ باختين رأى ضرورة الاهتمام بالخطاب، وبموقع المتكلّم (المؤلّف) ووضعه الاجتماعي والاقتصادي، وكذا أعاد الدّرس

---

[1]- مجموعة من المؤلّفين ، جاك دريدا فيلسوف الهوامش ، تأمّلات في التّفكيك والكتابة والسياسة ، إشراف وتحرير : محمد بكاي ، منشورات ضفاف ، بيروت ، لبنان ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، دار كلمة للنّشر والتّوزيع ، تونس ، دار الأمان ، الرّباط ، ط1 ، 2017 ، ص 122.

[2]- المرجع نفسه ، ص 134.

[3] - مجموعة من المؤلفين ، الماركسية وما بعدها ، التأسيس والانعطاف والاستعادة ، تقديم : ام الزين بن شيخة المسكيني تحرير وإشراف : علي عبود المحمداوي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، منشورات ضفاف ، بيروت ، دار ومكتبة عدنان بغداد ، العراق ، ط1 ، 2014 ،ص188.

[4] - جوناثان كلر ، فردينان دي سوسير ، أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات ، ترجمة : عزّ الدّين اسماعيل المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، مصر، ط1 ، 2000 ، ص33.

اللغوي إلى حضن المجتمع، فالكلمات حية تعبّر عن دينامية المجتمع، وهي قادرة على التعبير بأكثر من دلالة تمسّ مختلف طبقات المجتمع[1].

فالخطاب عند باختين هو تلفّظ، وهو حدث اجتماعي أكثر منه حدثا فرديا، ذلك أنّ الذّات وإن بدت واعية تماما إلاّ أنّها تعدّ نتاجا للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية، فثمّة فرق بين التّعبير الفردي الظّاهر والتّعبير عن الخبرة الاجتماعية، فثمّة خبرة داخلية معبّر عنها وهذه الخبرة هي صنيع المجتمع، فكلّ تلفّظ هو تعبير عن هذه الخبرة الاجتماعية التي اكتسبتها الذّات من خلال علاقاتها الاقتصادية والاجتماعية[2].

والفرق بين التّلفظ عند باختين والتّلفظ عند بنفنيست مثلا، هو أنّ التّلفظ عند هذا الاخير فاعلية فردية ، نشاط فردي غير محكوم بسياق معيّن، في حين أنّ التّلفظ عند باختين هو فاعلية اجتماعية، يكون فيه المتكلّم في علاقة اندماج بالمستمع من حيث العضوية الاجتماعية[3].

ج- الخطاب عند إميل بنفنيست

الخطاب عند بنفنست فاعلية فردية، واسعة ، فهو:" كلّ تلفظ يفترض متكلّما ومستمعا عند الأول نيّة التّأثير في الثّاني بطريقة أو بأخرى."[4].. ونقصد بالفاعلية الواسعة، ذلك أنّها تشمل

[1]- المرجع نفسه ، ص 189.

[2] - عبد الواسع الحميري ، الخطاب والنّص " المفهوم – العلاقة – الاجراء " ، مرجع سابق ، ص 99.

[3] - عبد الواسع الحميري ، الخطاب والنّص " المفهوم – العلاقة – الاجراء " ، مرجع سابق ، ص100.

[4] -Emile Benveniste, problème de l'inguistique générale, edition gallimard, paris, france, p 242.

جميع الخطابات ، مذكّرات ، مسرح ، مؤلّفات تعليمية ،،، إلخ [1].

فإذا كانت الدّراسات السّابقة قد تناولت الملفوظ ، فإنّ بنفنيست يميل إلى الاشتغال بعملية التّلفظ. ذلك أنّ الذّات هي التي تتحمّل مسؤولية الملفظ، وترسم استراتيجيته، وهو مرتبط بسياق واقعي، زمانا ومكانا، وسياق نصّي (ملفوظ) يحمل مقاصد الذّات[2]، ولربّما هو ما كان يعبّر عنه البلاغيون والنّحويون العرب، وخاصة المعتزلة منهم، بوجوب معرفة أحوال المتكلّم قبل معرفة الكلام[3].

فكلّ تلفّظ من الأنا يستدعي حتما وجود الآخر، فضمير المتكلّم " أنا" (نحن) في اللّغة يقابله ضمير المخاطب" أنت" أو أنتم ، حسب بنفنيست[4]. وانّ التفاوت في الملفوظ من حيث التّماسك والانسجام أو الوصل بين شكل التّعبير والمضمون أو إيقاع الخطاب مردّه إلى سلطة الذّات المتلفّظة[5]. فالجملة عند بنفنيست بنية مجرّدة ، والملفوظ هو من يحقّقها

[1] -Ibid , p 242.

[2] – عبد الله خضر حمد ، المذاهب الأدبية ، دراسة وتحليل ، دار القلم للطّباعة والنّشر والتّوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 2017 ، ص61.

[3] – نصر حامد أبو زيد ، الاتجاه العقلي في التّفسير ، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة ، مرجع سابق ص 182.

[4] - Emile Benveniste, problème de l’inguistique générale, op-cit, p260, p261.

[5] – عبد الله خضر حمد ، المذاهب الأدبية ، دراسة وتحليل، مرجع سابق ، ص 61.

كخطاب، إضافة إلى التّنويعات التي قد ترد فيها الجملة، هذه التّنويعات مشحونة بطاقة إيحائية[1] ، ولذلك فالخطاب ذو طابع فردي، آني، يستهدف إقناع أو التأثير في الآخر.

يتجلّى الخطاب في استعمال المتكلّم ضميري المتكلّم والمخاطب، واسماء الإشارة وصيغ التّعجب والنّداء و ظروف الزّمان والمكان، وهذه العناصر اللّغوية الوظيفية التّداولية لا دلالة لها إلاّ لحظة الاستعمال، وبناء عليها فرّق إيميل بنفنيست بين الخطاب والسّرد، فإذا كان الخطاب يستعمل ضميري المتكلّم والمخاطب، وأحرف المضارع وصيغ التّعجّب، فإنّ السّرد لا يسعه إلاّ الزمن الماضي، وضمير الغائب[2].

على أنّ الخطاب يمكن أن يتخلل السّرد ، في حالة ما إذا فسح المؤلّف للشخصيات العمل القصصي التّحرك بحريّة ، ومنحهم التعبير بلغتهم ، فتستعمل هذه الشّخصيات صيغ التعجّب وأسماء الإشارة ، وظروف الزّمان والمكان ،،،إلخ[3] .

د- الخطاب في المدرسة اللسانية الغلوسيماتية (لويس هلمسليف):

على ضوء الدّرس اللساني الذي أسّسه العالم اللّغوي السّويسري فردينان دي سوسير بثنائياته الشّهيرة ؛ (اللّغة/ الكلام) ، (الدّال / المدلول) ، (التركيب / الاختيار) ، (التاريخية /

[1] -M.Gauthier, Mélanges linguistiques offerts à Émile Benveniste,[Article], collection linguistique publier par la societé de linguistique de paris, LXX , Edition Peeters, paris, France, 1975, p181,p182.

[2] - Emile Benveniste, problème de l'inguistique générale, op-cit, p234.

[3] Emile Benveniste, problème de l'inguistique générale, op-cit , p234.

الآنية.).بنى لويس هلمسليف اللّساني الدّنماركي معالم مدرسته الغلوسيماتية : إذ جاء برباعية أخرى؛ المخطّط، المعيار، الاستعمال، الحدث[1].

فالمخطط هو النّحو القبلي بأصواتها وصرفها وقواعدها التّركيبية في الأذهان، أو بصورة أبسط هو اللغة في الذّهن، أمّا المعيار: فهو الاستعمال الجماعي للّغة، وهو ميزة تخصّ كل أمّة بمواضعاتها أو ما يسمى باللّسان عند سوسير، أمّا الاستعمال فيقصد به الاستخدام الفردي للغة أو الاتساع فيها أو الكلام (الخطاب). في حين يشكّل الحدث المقام أو سياق الكلام زمانا ومكانا، ذلك أنّ كل استعمال للغة يجب أن يكون ضمن الزّمان والمكان[2]. والحدث هو الصورة التي يتجلّى فيها الاستعمال الفردي، وهذا الأخير هو الشّكل الذي يتّخذه المخطط ويكون به المعيار، في الوقت نفسه، ذلك أنّ المعيار يحتّم استعمال الأفراد للّغة[3] ، أو كما قال سوسير سابقا أنّ الكلام يمثّل الجانب الحيوي للّغة ، وليس هناك كلام بلا لغة، فهما يؤثّران ويتأثّران ببعضهما البّعض[4].

وإذا كان المخطط هو من يمنح اللّغة طابع الشّمولية، فإنّ الاستعمال هو من يمنحها الفاعلية، ويسمح للدّرس اللساني من الوقوف على التّجربة والمعاينة الفعلية. والاستعمال هو الكلام الفردي أو الخطاب أو الانجاز أو العملية ، فالنّص أو الخطاب ـ مكتوبا أو شفويا ـ عند لويس هلمسليف هو العملية. ذلك أنّ الدّرس اللّساني يجب أن ينطلق من النّص

[1] -A – G , Toutain, Cahiers Ferdinand de Saussure, Volume 61 ;Volume 2008, Revue de linguistique générale, Librairie Droz , Gènève, 2009, 70.

[2] - ibid, p70

[3] - A – G , Toutain, Cahiers Ferdinand de Saussure, Volume 61 ;Volume 2008, op-cit, p70

[4]– فرديناند دي سوسير ، علم اللغة العام ، ترجمة : يوئيل يوسف عزيز ، مراجعة : مالك يوسف المطلبي ، مصدر سابق ص 38.

أي من وحدات قابلة للوصف، فالنّص قابل للتّقسيم إلى وحدات دنيا، والنّظر يجب أن ينصب على طبيعة العلاقات التي تربط العناصر فيما بينها والوحدات المشكّلة للنّص كملفوظ كلّي[1].

واللّغة عند هلمسليف ليست مادة وإنّما هي شكل، شكل يتوسّط بين التعبير والمحتوى، وهي بالتّالي؛ تأخذ شكل التّعبير وشكل المحتوى، أمّا مادّة التّعبير فهي عبارة عن الأصوات والدّلالة[2]، والتحليل اللّساني للنّصوص هو تحليل يتوقف على تتبّع شكل التّعبير وشكل المحتوى، ذلك أنّ الشكل مستقلّ عن المادة تماما.

هـ ـ الخطاب عند جون لاينز:

ربّما الإسهام الأوضح في جهود اللّساني جون لاينز يكمن في توضيحه الفرق بين الجمل الجمل النّحوية وغير النّحوية من جهة، والجمل النّحوية، والجمل السّياقية، أو جملة الموقف من جهة أخرى، وما يترتّب عن ذلك من تنوّع في الدّلالة، وكذا في الفرق بين الجملة والخطاب.

ففي كتابه: (اللّغة والمعنى والسّياق) يذّكر لاينز القارئ العربي بسيبويه، إذ يفرّق لاينز بين السّلامة النّحوية والسّلامة الدّلالية، على نحو يشبه شروط الفصاحة التي قال بها سيبويه، ويسوق مثالا عن الجملة غير النّحوية ؛ " أريد أن هو يأتي

I want that he will come

[1]– ينظر : عبدالله خضر حمد، لسانيات النص القرآني: دراسة تطبيقية في الترابط النصي، دار القلم للطباعة والنّشر بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2017، ص 91.

[2] - A – G , Toutain, Cahiers Ferdinand de Saussure, Volume 61 ;Volume 2008, op-cit, p 65.

والجملة النّحوية : أريده أن يأتي I want him to come،

فالأولى خاطئة نحويا، إذا ما تعلّق الامر باللّغة الانغليزية الفصيحة [1]. أمّا من حيث المعنى واستقامته فيذكر جون لاينز عدّة أمثلة وهي :

1 – تنام الأفكار عديمة اللّون بتهيّج

2– إنّ الرّباعية تشرب التّسويف

3– ينام الخميس والجمعة في فراش واحد

فهذه الجمل كلّها لا تحمل معنى في معناها الاعتيادي الحرفي (الحقيقة) ، إلاّ إذا وضعت في سياق مناسب وأوّلت بعدّها مجازا (استعارة، كناية، أو مجازا مرسلا)[2] وبالتّالي؛ فليست كلّ جملة مستقيمة نحويا تكون بالضّرورة مستقيمة من حيث المعنى، لا سيّما المعنى الحرفي للجملة . كما يمكن ـ في الوقت ذاته ـ أن يتمّ تصحيح الجملة من قبل السّامع نحويا ولكن يمكن قبولها إذا ما كانت غير سليمة دلاليا.

إنّ الحديث عن الاستعمال المعنى المعجمي، وسلامة الدّلالة هو أيضا يحتاج إلى إيضاح فهناك مواقف اجتماعية لا تقبل استخدام المعنى المعجمي، إذن؛ ثمّة علاقة وطيدة بين استعمالات اللّغة والمواقف الاجتماعية، ويمثّل لذلك جون لاينز بجملة : "مات والدي ليلة امس "، فيقول إنّ بعض المجتمعات اللّغوية لا تحبّذ كلمة (مات) وتضع بدلها

[1] – جون لاينز ، اللّغة والمعنى والسّياق ، ترجمة : عباس صادق الوهاب ، مراجعة : يوئيل عزيز ، دار الشّؤون الثقافية العامّة ، آفاق عربية ، ، بغداد ، العراق ، ط1 ، 1987، ص112 ، ص113.

[2] – المرجع نفسه ، ص 113.

عبارة (توفي) رغم أنّ الجملة صحيحة نحويا[1]، وكذلك الاختلافات الحاصلة في التركيب النّحوي للجملة وأثر النّبر والتّنغيم وهو (لاينز) يتّفق مع إميل بنفنيست حين يفرّق بين الجملة النّحوية كتجريد وبين التّنويع في الاستخدام الذي يصنّفه كخطاب أو ملفوظ[2] أو التفرقة بين الملازمات الوضعية ، والملازمات التخاطبية في التّراث العربي[3].

ضف إلى ذلك ، يطرح لاينز إشكالية القصدية في الجملة ، وما إذا كان المتلقي يقف حتما على القصدية الظاهرة في الجملة ، أم يتجاوزها ، فربّما بشكل أوضح أنّ اللّغة العلمية تكون في أغلب الأحيان تحمل قصد المتكلّم مباشرة ، أو تأخذ المعنى ظاهريا ، أمّا في اللّغة الفنّية **التعبيرية،** أو حيث تهدف الجملة إلى **التّعبير،** ولا تكون قضيّة تطرح قضيّة الصدق أو الكذب ، فإنّ الامر مختلف تماما ، إذ "جملة أكل لحم البشر حرام "، قد لا يفهم منها المتلقي المعنى الظّاهر، كما يمكن للمتكلّم أن لا يقصده تماما ، بالقدر الذي يريد أن يعبّر عن شعور نفسي بالاشمئزاز، فهي تحمل دلالة نفسية[4]. وهذا ما ذهب إليه كذلك هيدغر في انطولوجـيا اللّغة في معرض حديثه عن البيان[5] .

[1] – جون لاينز ، اللّغة والمعنى والسّياق ، ص 113.

[2] - Franck Neveu, Proposition, phrase, énoncé: Linguistique et philosophie serie les concepts fondateurs de la philosophie du language,vol n°6 , ISTE edition ,united kingdom, p199.

[3] – آمنة بلعلى ، سيمياء الأنساق ، تشكّلات المعنى في الخطابات التّراثية ، دار النهضة العربية ،بيروت ، لبنان ، ألفا للوثائق ، قسنطينة ، الجزائر ، ط1 ، 2013 ، ص208.

[4] – جون لاينز ، اللّغة والمعنى والسّياق، المرجع السّابق ، ص 121.

[5]

المحاضرة السّادسة

مفهوم النص

تمهيد:

في هذه المحاضرة نحاول أن نجيب عن تساؤلات جديرة بالإجابة، ولعلّ أهمّ إشكالية قد تتبادر للذّهن من خلال العنوان هو؛ ما مفهوم النّص؟، وما علاقة الدّرس اللّساني بنظرية القراءة في مفهوم النّص؟، وللإجابة عن هذا السّؤال، يمكن تفريع هذه الإشكالية إلى تساؤلات فرعية هي؛ كيف أثّرت اللسانيات في قراءة النّصوص الإبداعية؟ ، وكيف استثمرت القراءة مقولات الدّرس اللّساني؟ :

1-مفهوم النّص في التّراث العربي:

أ – النّص لغة:

للفظة (النّص) في المعاجم العربية معن متعدّدة؛ ففي لسان العرب لابن منظور نجدها: " النّص: رفعك الشّيء، نصّ الحديث ينصّه نصّا: رفعه ...، بقال: نص الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصصته إليه، ونصت الظبية جيدها، رفعته، ووضع على المنصّة أي على غاية الفضيحة والشّهرة والظّهور... والماشطة تنصّ العروس فتقعدها على المنصّة وهي تنتصّ عليها لتُرى من بين النّساء ،... ونصّ المتاع نصّا: جعل بعضه على بعض ونصّ الدّابة ينصّها نصّا : رفعها في السّير وكذلك النّاقة ... والنّص والنّصيص: السّير الشّديد والحثّ ... وأصل النّص أقصى الشّيء وغايته ... والنّص: التوقيف، والنّص:

التعيين على شيء ما ، ونصُّ الامر شدته ، ونصّ الرجل نصّا : إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده ، ونصّ كل شيء : منتهاه .[1]. ".

أمّا الفيروزبادي فقد أورد في القاموس المحيط : "(نص) الحديث رفعه، وناقته استخرج أقصى ما عندها من السير، والشيء حركه، ومنه فلان يَنصُّ أنفه غضباً وهو نصاص الأنف، والمتاع : جعل بعضه فوق بعض، وفلاناً :استقصى مسألته عن الشيء، والعروس أقعدها على المنصة بالكسر، وهي ما ترفع عليه فانتصت، والشيء أظهره، والشواء ينص نصيصاً: صوّتَ على النار، والقدر غلت، والمنصة بالفتح الجَمَلَة من نصّ المتاع، والنص الإسناد إلى الرئيس الأكبر والترقيات والتعيين على شيء ما. "[2].

أمّا عند علماء الفقه، فقد تدرّجت معاني لفظة النّص، فكانت في البداية من جهة الدلالة فالنّص إذا لم يحتمل اللّفظ معنى غير الذي بفهم منه وكان محكما، فهو النّص، وإذا احتمل اللّفظ غير ذلك فهو الرّاجح، الظاهر منه يؤّول المرجوح منه، وإن تساويا فهو المجمل[3] .وقد

[1] – محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نصص)، المجلد 14 ، دار إحياء التّراث العربي ، بيروت ، لبنان ط3 ، 1999، ص 162

[2] – محي الدذين بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج1، مادة (نصص)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان 1997، ، ص 858.

[3] – عبدالرحيم يعقوب، تيسير الوصول إلى علم الأصول: المجلد الأول، دار العبيكان للنشر والتوزيع ، الرياض، السعودية ط2، 2010، ص101، ص102.

دلّت لفظة النّص عند مستعملها الأول الإمام الشّافعي على القرآن الكريم [1]، وقد تمت الإشارة إلى ذلك سابقا .

ونتيجة ارتباط لفظ النّص بالدّلالة شاع عندهم ما يعرف بإشارة النّص، عبارة النّص دلالة النّص، اقتضاء النص[2]، فأصبح النّص يعّرف بالإضافة.

هنا ويجب التذكير بنقطة مهمة سبقت الاشارة اليها في معرض الكلام عن شروط نصّية النّص، فقد قلنا أنّ أول معيار في التّراث العربي كان معيار الوضوح والبيان، والتعريفات اللغوية السّابقة كلّها تشير إلى الظّهور أي: بيان المقصد، وبيان المعنى، والخلو من اللّبس والغموض، أو المتشابه.

ب – النّص اصطلاحا

لا يُعثر على مفهوم مضبط محدّد لمصطلح النّص في التّراث العربي، إلاّ أنّ هذا لا يعني أبدا أنّه كان غائبا كلّيا في التفكير البلاغي العربي القديم، بل إنّه كان حاضرا من حيث الاهتمام. فهذا عبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم التي صاغ فيها أساليب الرّبط والوصل والفصل، اهتمّ فيها كذلك بالانسجام الذي يكون ضرورة في النّص فيجعله كلاّ متكاملا، فالمزيّة ليست بالبيت المفرد، وإنّما باستكمال الأبيات، ففيها يتجلّى روعة التّصوير وحسن السّبك، وحسن التّعبير [3].

[1]– محمد بن إدريس الشافعي ، الرسالة ، تحقيق وضبط : أحمد محمد شاكر ، مصطفى بابي الحلبي ، القاهرة ، مصر ط1 ، 1938 ، ص 212

[2] – المصدر نفسه ، ص140.

[3] – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، مصدر سابق ، ص87، ص88.

فنصّ المتاع بعضه فوق بعض يستنبط منه الجرجاني قاعدة النّظم ، فيقول : ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النّطق، بل ان تناسقت دلالتها وتلاقت على معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل.[1]* ".

أمّا ابن الأثير لم ينكر استقلالية البيت كما أقره النقد العربي القديم، وكان له موقفا من مسألة التّضمين** التي لم يعبها على الشّعراء، فرأى ضرورة تلاحم أبيات القصيدة فيما بينها تلاحم الوحدة العضوية، فهي شرط لابدّ منه لأجل تفاعل القارئ، تفاعلا يمكنه من الوقوف على الانسجام الدلالي للنّص، فترابط الابيات في الشّعر لا يختلف عن صلة الفقرات ببعضها في النثر [2].

وقد أشرنا سابقا أنّ البلاغيين العرب اهتموا بالمطالع التي تكون منبئة عن الخواتيم ومن هؤلاء البلاغيين حازم القرطاجني الذي قسم القصيدة إلى فصول، ورأى أنّ لها

---

[1] – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، مصدر سابق ، ص 49،ص50.

*– لعل النظم على هذا النحو يشكّل فكرة ناضجة تجمع بين التضام النحوي والدلالي عند العرب القدامى ، في حين نجدها مسألة مختلف فيها عند اللّسانيين المحدثين الغربيين كجون لاينز : " تنام الافكار عديمة اللون بتهيج. " التي لا تفصح عن معنى أو لا تقبل إلا مجازا ، أو لأنّ المتكلّم عادة ما لا يرغب في توضيح القصد. أنظر : جون لاينز ، اللّغة والمعنى والسّياق ، ترجمة : عباس صادق الوهاب ، مراجعة : يوئيل عزيز ، مصدر سابق، ص112 ، ص113.

**– التضمين أحد عيوب الشعر في النقد العربي القديم ، وهو أن لا يستكمل البيت معناه إلا بالبيت الذي يلي

[2] – ضياء الدين ابن الاثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،ج3، تقديم وتعليق : أحمد الحوفي و بدوي طبانة دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، مصر ، دط ، دت ، ص201.

أحكاما في البناء، حيث أدرك الصّلة الرّابطة بين مطلع القصيدة وبين ما أسماه بالمقطع، وهو آخرها الذي يحمل في ثناياه الانطباع الأخير، والنهائي عنها [1].

وقد نبّهنا سلفا إلى تلك النّظرة الشّمولية التي تبنّها المفسرون للكلام الإلهي، إذ اعتبروا القرآن الكريم كلّه كالنّص الواحد، وبحثوا في مناسبة الآيات لبعضها البعض، ومناسبة السّور، وكذا صلة فواتح السّور بنهاياتها. وانسجام المقاصد والغايات. فهم لم يعتنوا في ذلك بحجم النّص من حيث الطول والقصر، بالقدر الذي اهتموا بأدوات ربطه وانسجام دلالته[2]. ولعلّ هذا الاهتمام نفسه نجده عند أدونيس الذي رأى أنّ القرآن الكريم نصّا يختلف عن النّص البشري من حيث أفق الكتابة، فيقول :" لغته ليست مجرد مفردات وتراكيب ، وإنّما تحمل رؤيا معينة للإنسان والحياة وللكون أصلاً وغيباً ومآلاً."[3].

2- مفهوم النّص عند الغربيين .

أ- **لغة** : كلمة نص (texte) مشتقّة من اللفظ اللاتيني (textus) بمعنى الذي يصنع نسيجا (tissu)[4] ، كما ألمعنا ذلك سابقا ، عند الحديث عن لفظ النسيج عند الجاحظ ، أمّا

[1] – ضياء الدين ابن الاثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،ج3، تقديم وتعليق : أحمد الحوفي و بدوي طبانة دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، مصر ، دط ، دت ، ص201.

[2] – جلال الدّين عبد الرحمان أبي بكر السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبط وتصحيح : أحمد شمس الدين المجلد الاول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1988، ص49.

[3] – علي أحمد سعيد أدونيس ، النّص القرآني وآفاق الكتابة ، دار الآداب ، بيروت ، دط ، دت ، ص20.. بتصرّف

[4] - A. C. Demoustier, Manuel lexique philologique, didactique et polytechnique ou dictionnaire portatif des sciences et des arts, ladrange , paris, c, muquardt bruxelles, a , bielefeld , carlsruhe, 1844, p 686.f

في المعجم الاكاديمي الفرنسي، فالنّص (texte) يقصد به الكلام الحقيقي لمؤلّف ما بالنّظر إلى الملاحظات والتّعليقات، رسالة مكتوبة[1].

والملاحظ في هذين التعريفين هو الاشتراك في اعتبار النّص مدونة لمؤلف ما، والاشتراك في صفة التّرابط كخاصيّة ملازمة للنّص. وهو ما جعل بارت يعبّر عن النّص : " تعني كلمة نصّ (texte) النسيج (tissu)، ولكن بينما صنف هذا النسيج دائما ، وإلى الآن بوصفه انتاجا وحجابا جاهزا، يقف خلفه المعنى(الحقيقة)، فإننا سنركّز الآن داخل هذا النّسيج على الفكرة التوليدية التّي يتخذها النّص لنفسه، وينشغل بها من خلال تشبيك دائم وإنّ الذّات تكون ضائعة في هذا النسيج تنحلّ فيه، كما لو أنّها عنكبوت تذوب هي نفسها في الافرازات البانية لنسيجها، وإذا كنّا نحبّ الألفاظ المستحدثة، فإننّا نستطيع تعريف نظرية النّص بأنّها علم نسيج العنكبوت، لأنّ (hyphos) تعني نسيج العنكبوت ."[2].

أمّا في كتابه نظرية النّص فيقول: " والدّراسة المعجمية للكلمة (نص/ texte) تكشف أنّها تدل على النّسج ، ومن هنا يمكن أن نقول أن نسج الكلمات يعني تركيب نصّ،،، إنّه نسيج من الكلمات، ومجموعة نغمية وجسم لغوي. " [3].

[1] -Le dictionnaire de l'Académie française,tome N°2 , (L-Z) , Bossange Masson Garnery Nicolle, paris, 1814, p661.

[2] - Roland Barthes, Le Plaisir du texte, Collection "Tel Quel", edition du seuil paris, 1973, p100, p101.

[3] – حسين خمري ، نظرية النص ، من بنية المعنى إلى سيميائية الدّال ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، لبنان ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،1 ، 2007 ، ص 44.

ب – **اصطلاحا:**

يشير القاموس الموسوعي لعلوم اللّسان إلى ضبابية مفهوم النّص نتيجة الاستعمال الواسع لمصطلح (النّص)، ويحدده بوصفه : سلسلة لسانية محكية أو مكتوبة وتشكّل وحدة تواصلية ." [1]. ولا يهم طول النّص سواء أكان متتالية من الجمل ، أو جملة واحدة ، أو جزءا من الجملة ، وهذا يعني :" أنّ مفهوم النّص لا يستوي مع مفهوم الجملة ، ،، أو مع مفهوم القول، أو التّركيب،،، "[2]. فالنّص ليس مجرد مقاطع وتركيب، وإنّما هو كيان تواصلي، " ليس النّص بنية مقطعية ملازمة ، ولكنه وحدة وظيفية تنتمي إلى نظام تواصلي ."[3] .

إنّ الطبيعة اللسانية التواصلية للنّص هو ما يجعله يتداخل مع مفهوم الخطاب . غير أنّ الخطاب قد يتشكل لا من نصّ واحد ، وإنّما من عدة نصوص على النّحو الذي يكون في المحادثات، لكن هذه النّصوص تجمع بينها وحدة موضوعية. فالمعجم الموسوعي للسميوطيقا مثلا لا يفرق بين النّص والخطاب، ذلك انّ النّص عند بارت: نسيج من الدّوال التي تكون العمل ، لأنّ النّص هو التّساوي مع اللّغة ذاتها ، وأنّه من داخل اللّغة يجب أن تقاوم اللّغة وأن تحول ، ليس بواسطة الرّسالة التي تحملها والتي استعملتها كأداة ، ولكن عن طريق اللّعب بالكلمات التي هي مسرح لها ."[4] .

---

[1] – أوزوالد ديكرو ، جون ماري سشايفر ، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ، طبعة منقحة ، ترجمة : منذر عياشي المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، دت ، ص 533.

[2] – المصدر نفسه ، ص 533.

[3] – المصدر نفسه ، ص 533.

[4] – حسين خمري ، نظرية النّص ، المرجع السابق ، ص 161.

1 – مصطلح النّص والمصطلحات المتاخمة:

ا – النص / الجملة:

قد يتساءل البعض ما وجه الاشتراك بين الجملة والنّص ليتداخلا بينهما ؟. إنّه بالعودة إلى محور اشتغال الدّرس اللغوي قديما والدّرس اللّساني المعاصر، فإنّنا نجد أنّ الجملة هي التي شكّلت محور الدّرس، ولو كان الموضوع وصف النّص، فلسانيات النّص علم جديد وإن كان النّص حاضرا منذ أمد طويل في اهتمام المناطقة واللغويين والبلاغيين، وحتى بعد ظهور الدّرس اللّساني المعاصر على يدّ دي سوسير إلاّ أن الجملة هي التي ظلّت تشكّل موضوع الوصف اللّساني[1]، فلم يمثّل النّص عند هذا الأخير سوى مجموعة من الجمل المتتالية والمتعاقبة خطّيا[2]. وربّما عدم اهتمامه بالنّص يعزى لأمرين؛ أحدهما أنّ النّص ينتمي إلى لسانيات الكلام وليس الى لسانيات اللّغة التي كانت محور درسه[3]، وثانيهما انه رأى في الجملة الوحدة الكبرى المجسدة القابلة للوصف. فـ : " النقلة من نحو الجملة إلى نحو النّص ليست مجرّد نقلة حجمية من الجملة غلى النّص، وإنّما أيضا في المنهج وأدواته وإجراءاته وأهدافه، بحيث ذا كانت الجملة وحدة نحوية، فإنّ النّص ليس وحدة نحوية أوسع

[1] –محمد جواد النوري، لسانيات النص وتحليل الخطاب، تقديم : سعد مصلوح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2019، ص 137.

[2] – دي سوسير ، علم اللغة العام ، مصدر سابق، ص 38.

[3] – نفسه ، ص 38.

وإنّما هو وحدة من نوع مختلف، وحدة دلالية، الوحدة التي لها معنى في سياق هذه الوحدة الدلالية تتحقّق أو تتجسّد في شكل جمل، وهذا يفسر علاقة النّص بالجملة ."[1]... بتصرّف.

يرى رولان بارت في كتابه مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص أنّه:" إذا كان الخطاب يؤلّف موضوعا مستقلا ، فمع ذلك يجب أن يدرس انطلاقا انطلاقا من اللسانيات ، وإذا كان يجب الإدلاء بفرضية عمل للتحليل الذي يضطلع بمهمة عظمى ، ويمتلك مواد لا نهائية ، فإنّ الحكمة تقتضي علاقة متجانسة بين الجملة والخطاب ، ولا يكون ذلك مقبولا إلاّ إذا ضبط التنظيم الشّكلي نفسه كل الأنظمة الإشارية ، مهما كانت موادها وأبعادها ، وبهذا يكون الخطاب جملة كبيرة (ليس بالضرورة أن تكون وحداتها جملا) تماما كما تعتبر الجملة ضمن بعض المواصفات خطابا صغيرا ." [2].

ولا يختلف برينكر عن دي سوسير في كون النّص " تتابعا مترابطا بين الجمل " [3]، أمّا فان ديك فيدافع عن فكرة أخرى أساسها التّمايز بين الجملة والنّص ، وإن كان ما يشترط في الجملة يشترط في النّص ، إلاّ أنّهما متمايزان عن بعضهما ، فالعلاقة ليست علاقة تكامل وإنّما علاقة تضمّن حسبه [4].

---

[1] – جمال عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامّة للكتاب ، الاسكندرية ، مصر ، ط1 ، 1998، ص 68.

[2] – رولان بارت ، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص ، ترجمة منذر عياشي ، مركز الانماء الحضاري للدراسات والترجمة والنشر ، حلب ، سوريا ، ط1، 1993،ص 31، ص 32.

[3] – برند شبلنر ، علم اللغة والدراسات الادبية ، ص 188، نقلا عن : نعيمة سعدية : لسانيات النص والخطاب الشعري ، دراسة في شعر محمد الماغوط ، الوسام العربي للنشر والتوزيع ، عنابة ، الجزائر ، ط1 ، 2015، ص 165

[4] – نعيمة سعدية ، المرجع نفسه ، ص 166.

الجملة	النّص
1 – تركيب لغوي يمكن في إطاره إحداث تخطيط (اجباري / اختياري) للوحدات الدلالية والتداولية	1–كيان لغوي متعدد المستويات(صرفي نحوي بلاغي دلالي
2–عناصر من نظام افتراضي (جزء)	2– نظام فعال (الكل)
3–كيان قواعدي خالص يتحدد على مستوى النحو	3–كيان لغوي متعدد المستويات (ذو معايير سبعة)
4–الجملة تخضع إلى التقابل الثنائي من أجل التمييز بين ما يطابقها (مقارنة آلية	4 – النص يخضع إلى عملية معقدة تشارك فيها كل القواعد من اجل التمييز بين النص واللانص
5–الجملة تتصل بقواعد تجريدية تحكمت في العناصر اللغوية لتكوينها	5–النص يتصل بموقف تتفاعل فيه جميع التركيزات والتوقعات والمعارف (ما يسمى سياق الموقف .
6–الجملة ليست عملا ن اذ تستعمل لتعريف الناس كيفية العلاقات النحوية فحسب	6 – النص تجل لعمل انساني ينوي الشخص به انتاج موجه الى السامع لبناء علاقات متنوعة

هذا الجدول حاولت من خلاله نعيمة سعدية تلخيص بعض ما قدّمه دي بوقراند من اوجه التمايز بين الجملة والنص في كتابه النص والخطاب والاجراء[1].

ب – النّص والكلام/ الملفوظ :

ذكرنا سابقا انّ سوسير اعتبر النّص تعبيرا فرديا أي هو كلام ، وأنّ النص (الكلام) له منهجه الخاص في الدّراسة وآليات مختلفة تختلف عن منهج دراسة اللّغة وآليات وصفها .ونبّهنا سابقا إلى الوظيفة التواصلية التي يضطلع بها النّص فيكون بذلك خطابا أو كلاما او ملفوظا، فنحن أمام عدد من المصطلحات المتاخمة لبعضها والمتداخلة كما يرى منغونو[2] ضف إلى ذلك أن كل نصّ هو تعبير عن فكر مرتبط بموقف أو سياق ما ، حيث عدّ أوزوالد ديكرو: " الملفوظ (النّص): " نشاطا كلاميا محققا من طرف متكلم في اللّحظة التي يتحدّث فيها وفي الآن نفسه من طرف المستمع في اللّحظة التي يسمع فيها[3].

كما لا يمكن أن نغفل في هذا المقام أنّ مؤسّس تحليل الخطاب زليغ سبتاي هاريس لم يميّز الخطاب عن النّص، بل جعلهما مترادفين، بل وليس هناك فرق بين الخطاب والملفوظ[4]. حيث يعرّف الخطاب (النّص): " ملفوظ طويل، أو متتالٌة من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاٌينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجٌية التوزٌيعٌية

[1] – نعيمة سعدية ،المرجع السابق ، ص 168.

[2] – دومينك منغونو ، باتريك شارودو ، معجم تحليل الخطاب ، مصدر سابق ، ص 180

[3] – نقلا عن : نعيمة سعدية ،المرجع السابق، ص174.

[4] -Zellig S. Harris, Analyse du discours[article], Traduit par : Françoise Dubois-Charlier, : sem-linkFrançoise Dubois-Charlier, Langages ,4e année, volume 13, persee, 1969 , p44

وبشكل يجعلنا نظل فًي مجال لسانًي محض."[1]. ولا يختلف عنه هارتمان وستورك بقولهما عن الخطاب: " نص محكوم بوحدة كلّية واضحة ، يتألّف من صيغ تعبيرية متوالية ، تصدر عن متحدّث فرد ، يبلّغ رسالة ما."[2].

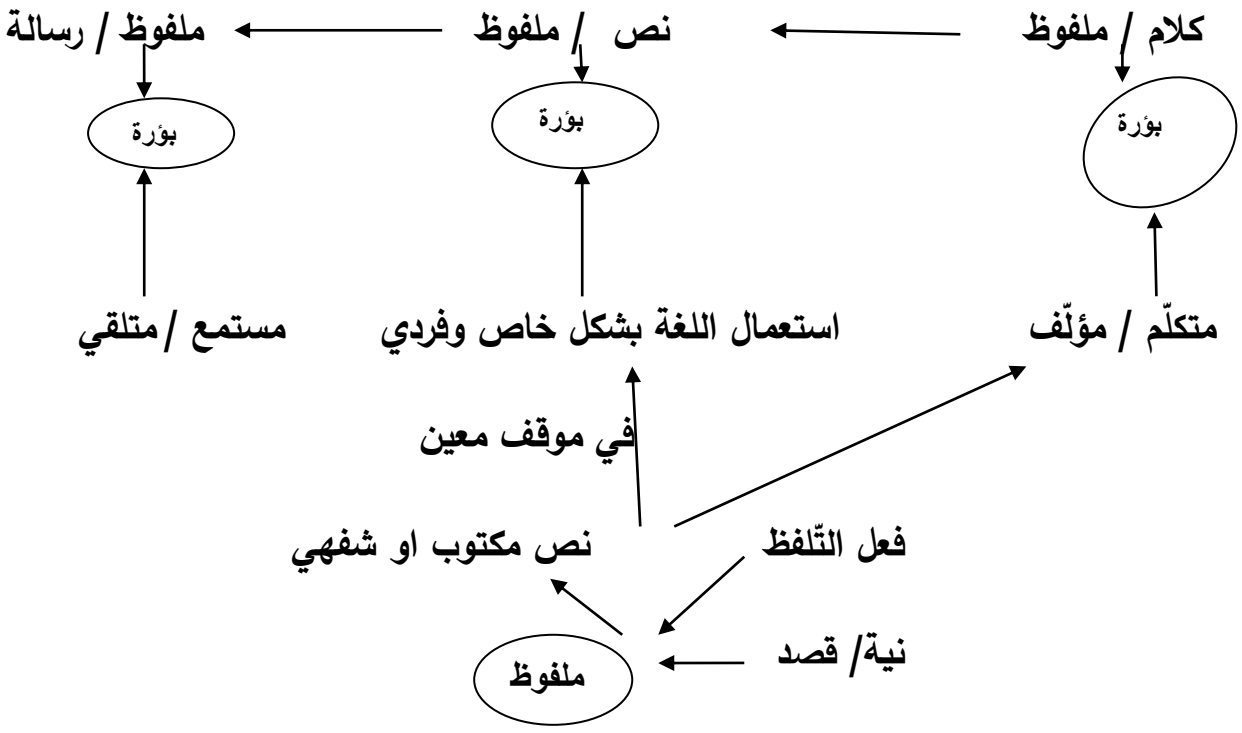

الخطاب: نص / ملفوظ : يتجاوزهما إلى المسكوت عنه أو ما لم يقل.

إنّنا وإذ نفرّق هنا بين الخطاب والكلام ، فذلك أنّ الكلام النفسي لا يصحّ أن يكون خطابا على النّحو الذي رأيناه عند في التّراث الاسلامي ، ثمّ إنّ التّداولية والعرفانية تجاوزت ثنائية

[1] – نقلا عن : سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الرّوائي، (الزمن ، السرد ، التبئير) المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط3 ، 1997 ، ص 17.

[2] – ينظر : عبد الله ابراهيم ، المطابقة والاختلاف ، بحث في نقد المركزيات الثقافية ، المؤسسة العربية للدّراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، دار فارس للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2004 ، ص586.

اللغة والكلام التي تبناها دي سوسير إلى فعل التّلفظ المعبّر عن حرارة الذّات وإرادتها والملفوظ من حيث هو نص سواء أكان مكتوبا أم شفويا منظورا إليه من حيث التّفاعل التّواصلي في ظروف اجتماعية وثقافية معيّنة، أو بعبارة أخرى من حيث هيكلته في اللّسان[1] كما فرقنا بين الخطاب والنّص باعتبار النّص لا يتجاوز إلى ظروف الإنتاج ، فكلّ نص وضع في سياق انتاجه وظروفه المحيطة به صار خطابا ، أمّا الفرق بين الخطاب والملفوظ فذلك أنّ الملفوظ لا يؤوّل إلاّ في ضوء سجلّ الخطاب ومرجعياته والجماعة الخطابية أو التشكيلة التي يرد فيها، يقول فوكو: " نسمي خطابا مجموعة ملفوظات تنتمي إلى نفس التشكيل الخطابي."[2] وهو لا يختلف عن جورج إلياس رفاتي الذي يعتبر أن الخطاب والنّص مفهومان متوازيان ومختلفان بحسب مرجعيتهما ، فتحليل الخطاب لا يعالج النّص ولا أدبيته ولكنه عبارة عن سلسلة من النصوص المتميزة التي تسمح بتصنيفها ضمن خطاب معين ، وهما لا يتوقفان عند حدود النص ولا طرفي العملية التواصلية والسياق والسنن وإنّما يتجاوزان كل ذلك إلى المرجعيات وكلّ مايحفّ بالملفوظات[3].

[1] – دومينيك منغونو ، باتريك شارودو ، معجم تحليل الخطاب ، مصدر سابق، ص 181

[2] – نفسه ،ص 181.

[3] – محمد القاسمي، قضايا النقد الأدبي المعاصر، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2010 ، ص 48.

هذا وتميّز المدرسة الفرنسية الملفوظ عن الخطاب بعدّ الملفوظ كل ممتاية محدّدة ببياضين دلالين دلاليا، بينما الخطاب هو كل ملفوظ وضع في سياق[1]، على النحو الذي صاغه جان ميشال أدام، كما هو معروف سلفا.

إن الطابع التداولي في الخطاب يجعله أوسع من النّص ، ولعلّ نظرة كهذه تخالف ما ذهب إليه سعيد يقطين حيث رأى أنّ النّص اوسع ، فالخطاب ذو طابع نحوي عنده ، أمّا النّص فيرتبط بالمظهر الدّلالي[2].

الخطاب / اللغة :

لعلّه من اليسر أن يستحضر المرء تعريف ابن جنّي للّغة بأنّها: " أصوات يعبّر بها كل قوم عن حاجاتهم"[3]، وهذا ألان غارديناز لا يختلف عنه رغم تباعد الزمان وتباين الثقافة ، إذ يقول هذا الأخير: " إنّ التّمييز بين كلام أو خطاب ولسان اقترحه أول مرة ف . دي سوسير ودققته أنا ". والخطاب عنده هو: " الاستعمال بين الناس لعلامات صوتية مركّبة لتبليغ رغباتهم وآرائهم في الأشياء " [4].

---

[1] – محمد سيف الاسلام بوفلاقة ، سيميائية الخطاب السردي العماني رواية سيدات القمر للأديبة جوخة الحارثي نموذجا ، دار الجنان للنشر والتوزيع ،عمان ، الأردن ، ط1 ، 2017، ص 18.

[2] – سعيد يقطين ، من النّص إلى النّص المترابط ،" مفاهيم أشكال ، تجليات " مجلة عالم الفكر ، ع2 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 2003، ص 79.

[3] – أبو الفتح عثمان ابن جني ، الخصائص ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ج1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص 87.

[4] – معجم تحليل الخطاب ، ص 180، ص 181.

النّص/ الرّسالة :

ينظر إلى الخطاب كرسالة يبعث بها مرسل إلى مرسل إليه في عملية تواصلية ، تكون تفاعلية اكثر كلّ ما كان السنن مشتركا، وكان المرسل إليه على وعي بالملفوظات الاجتماعية والثقافية التي تشكّل في الرّسالة فحوى ومقتضى، أي مشكّلة بنية عميقة ذات بعد تداولي أكثر منها تركيب نحوي . والرّسالة قد تكون جملة أو أكثر (نصّا) . يقول أوزوالد ديكرو: " عندما نتحدث عن لسانيات الحديث / التّلفظ / ، فإنّنا نتناول هذا المصطلح بمعناه الضّيق، فلا نأخذ المظهر الفيزيائي لبثّ واستقبال الكلام الذي يندرج ضمن علم النفس اللّغوي أو أحد تفرّعاته ولا التّحولات التي تطرأ على المعنى العام للكلام بسبب الوضعية ، وإنّما المقصود هو العناصر التي تنتمي إلى اللّغة وتتنوع دلالاتها من كلام لآخر ....،."[1].

[1]- Oswald Ducrot,Tzvetan Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage., seuil, France, 1972 P 405.

المحاضرة السّابعة

النّص تعبير عن الفكر

تمهيد:

عنوان كهذا يبدو في الوهلة الاولى بسيطا ، يمكن أن يجيب عنه أي أحد : " إنّنا نقول ونعبّر عن أفكارنا ." فأين الإشكالية التي يطرحها الموضوع ؟ فكيف يكون النّص تعبيرا عن الفكر ، وهل الفكر هو أحادي (فرداني) أم جمعي ؟ وإذا كان النّص مجرّد شكل فكيف يتم رصد افكاره ؟ وما العلاقة بينهما؟.

1- في البلاغة اليونانية :

بالعودة إلى تعريف الخطاب عند اليونانيين القدامى، نجده قد ارتبط بمفهوم اللوغوس أي الكلام المعقول، ومعقولية الخطاب هي خضوعها لقواعد المنطق، من حيث عدم التناقض بين الموضوعات والمحمولات، وبين المقدمات والنتائج، ومن حيث اللبس والابهام أو التّعارض، واللوغوس عندهم هو الملفوظ أو القول المنطقي، ولذلك : فعبارة الانسان حيوان ناطق يقصد منها إنّه حيوان عاقل[1]. فالمنطوق يعبّر عن الفكرة المنطقية في ذهن المتكلم وهي صادرة عنه، ولا يمكن التّفاهم بين النّاس إلاّ إذا خضعت اللغة المنطوقة إلى مقولات العقل وأسسه.

[1] – جورج طرابيشي، قد نقد العقل العربي: نظرية العقل، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1996 ، ص 156.

2- في التّراث العربي الاسلامي:

إنّ القرآن قد عرف بأنّه كلام الله : والله هو العقل الكلّي والخير الأسمى ، فهو إذن قول معقول، ومخاطب للعقل، ويجري على أسسه، سواء أكان هذا العقل كلّيا او قاصرا ، وعلى هذا الأساس، رفع التّكليف عن النّائم والصبي والمجنون، والشيخ المسن الفاقد للعقل والسّكران، نتيجة فساد آلة العقل عندهم[1].

وقد تمّ التّنبيه سابقا لشروط الاستقامة عند شيخ النحويين سيبويه ، ولعلّ اهمّ ما يميّزها هو الاستقامة اللغوية النّحوية بحيث تؤدي فائدة يميزها العقل، أو استقامة في تتماشى ومقولات العقل والواقع . كما تمّ التّنبيه وشرح علاقة المجاز بالعقل من حيث الاستدلال الذي يتجاوز المعنى إلى معنى المعنى عبر علامات أو إشارات لغوية أو سياقية تلعب دور المؤوّل.

3-الخطاب والفكر في الدرس اللّساني والنقدي المعاصر:

في الفلسفة المعاصرة تم الرّبط بين اللغة والفكر بعدما كانا منفصلين ضمن جدلية من هو الأسبق؟. لكن هل يعني أنّ اللغة محكومة بالفكر، وهو موجه لها فحسب؟ للإجابة عن هذا السّؤال، قد يقودنا البحث إلى تشعبات كثيرة، لكن يمكن إيجاز القول بأنّ مقولات الفكر لا يمكن إلاّ أن تعبر عنها اللغة، كما انّ اللغة ليست إلاّ واقعا فكريا. باعتبار انّ اللغة مؤسسة اجتماعية.

[1] – حمد بن محمود بن عباد العجلي الأصفهاني، الكاشف عن المحصول في علم الأصول، ج4 ، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، تقديم ،محمد عبد الرحمان مندور ، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998، ص 103.

أصبح من البديهي أنّ دي سوسير قد أعلن منذ البداية أنّ اللغة نظام من العلامات، وهذا النظام لا يختلف عن بقية الانظمة الاجتماعية، وهو وإن لم يتناول اللغة إلاّ كنظام، فإنّه يشير إلى أنّ هذا النظام يتشكّل بفعل مرور الزّمن، وقد تطرأ عليه تغيرات من حقبة إلى أخرى، لكن هذا التّغيّرات ليس إلاّ إثراء للّغة، تماما على النحو المتبادل بين اللغة والكلام [1].

ربّما ما يهمّ في طروحات دي سوسير في هذا المقام هما فكرتا النسقية والاعتباطية، فاللّغة لا تحيل إلى المرجع الخارجي، وإنّما ذات طبيعة نسقية ، فالفكرة لا يعبّر عنها ولا تفهم إلاّ بالنّظر إلى العلاقات الدّاخلية بين عناصر اللّغة، ولا تتبيّن الاعتباطية بين الدّال والمدلول التي تبنّاها دي سوسير إلاّ في ضوء فهم الطبيعة النسقية للّغة :

Un verre ,svp كأس من فضلك

Un espace vert مساحة خضراء

Il marche vers moi يمشي باتجاهي .

Les types de vers أنواع الأبيات الشّعرية

فالصورة الصوتية نفسها قد نجدها تتكرر في مدلولات مختلفة، ولذلك يحتاج الأمر إلى النّظر في العلاقة المنظمة للأصوات. ثم إنّ العلاقة الاعتباطية بين الدّال والمرجع هي الأخرى تشير إلى نقطة جوهرية أخرى هي انّ اللغة لا تعبّر عن الواقع الخارجي الفعلي إلاّ بالقدر الذي تعبّر عن تصوراتنا عنه.

[1] – فرديناند دي سوسير ، علم اللغة العام ، مصدر سابق ، ص 103..

وقد سبقه إلى ذلك فيلهلم فون هامبولت (Wilhelm von Humboldt)في نظرته للّغة ورؤية العالم. فاللّغة عنده ليست مجرّد أداة، بل هي نظام ينطوي على تجارب الأجيال السابقة وينقلها للأجيال اللاّحقة [1]. فثمّة علاقة بين اللّغة والتّصورات الجمعية عن العالم. أو علاقة بين اللّغة وفكر المجموعة اللّسانية في حقبة تارخية معينة.

وإذا كان الكلام عند هامبولت لا يخرج عن اللسان الاجتماعي ويعبّر عنه، فإنّه كذلك عند سوسير، والنّص هو كلام في لسانيات دي سوسير يخضع لقواعد ونظام اللغة ويعبّر عن الفكر الاجتماعي السّائد في كل مرحلة بصيغ جديدة مختلفة، تتّفق بتغيّر الفكر[2]. أما هلمسليف، فإنّ اللغة عنده أولا موجودة كمخطط في الأذهان أي نظام ، هذا النظام يشكّل أسّ المعيار أي الاستعمال الجماعي للّغة، ثم يأتي الكلام الذي يخضع للمخطط والمعيار ويكشف عنه ، ويقدّم تنويعات فردية[3] ، لكن ربّما ما يحسب لهلميسليف هو تلك التفرقة بين مستوى التعبير والشّكل، وهذه الثانية التي بنى على ضوئها ألجيرداس غريماس نظريته في علم الدلالة البنيوي[4]. واعتبر اللغة كنظام من الاشارات شكلا سواء أكانت شكلا للمحتوى أو شكلا من أشكال التّعبير. وانطلاقا من هذا التمييز يمكن التفرقة بين اللغات الطبيعية

[1] - Anne-Marie Chabrolle-Cerretini , La vision du monde de Wilhelm von Humboldt: histoire d'un concept linguistique , ENS Editions, (Lyon, France) ,2007 , p38.

[2] – فرديناند دي سوسير ، علم اللغة العام ، مرجع سابق، ص 104.

[3] - A – G , Toutain, Cahiers Ferdinand de Saussure, Volume 61 ;Volume 2008, Revue de linguistique générale, Librairie Droz , Gènève, 2009, 70.

[4] – بول كوبلي ، دليل راوتليدج لعلم السيمياء واللغويات ، ترجمة : هبة شندب ، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2016 ، ص375.

واللغة الأدبية التي يكون لديها نظام إشاري آخر على مستوى التّعبير، وبالتّالي فهي تشكّل نظاما سيميائيا دلاليا ضمنيا حسبه. فالعناية بالجانب السيميائي عند هيلمسليف توحي باهتمامه بالكلام أو الأداء (النّص) اكثر من اهتمامه باللّغة كنظام او نسق كما فعل دي سوسير[1]، وهو ما ذهب إليه رولان بارت كذلك ،حينما فرّق بين الدّلالة السطحية والدلالة الايحائية[2].

وإذا كانت البنيوية قد حصرت دراستها على عملية الوصف، انطلاقا من اعتبار اللغة شكلا[3]، فإنّ علاقة النص بالفكر واللّغة بالذهن أو العقل قد لا تتّضح إلاّ بالحديث عن أفكار نعوم تشومسكي، لاسّيما في حديثه عن البنية السطحية والبنية العميقة . وفكرتي التّوليد والتّحويل. فاللغة ثابتة في العقل كنظام ، أمّا التعبير أو الكلام فليس إلاّ مجرد تحويلات وتنويعات عن الجملة النواة والجمل النواة هي جمل مشتركة ، وهي نتاج البيئة اللّغوية. فكل جملة تتشكّل من ركن إسنادي وركن تتمة، والركن الاسنادي إما أن يكون مركب اسمي وفعل. أو مركب فعلي واسم وتتمّ عملية التفسير من خلال إعادة التحويلات إلى الجذر (الأصل) الذي يشكل الجملة النواة .هاته الجملة التي يمكن فريعها التوليد منها صياغات لا نهائية أو ما لانهاية من الجمل[4].

---

[1] – روبرت هولب، نظرية التّلقي ،مقدمة نقدية ، ترجمة : عز الدين اسماعيل ، المكتبة الاكاديمية ، القاهرة ، مصر ،ط1 ، 2000، ص 147.

[2] – بول كوبلي ، دليل راوتليدج لعلم السيمياء واللغويات،المرجع السابق ، ص 376.

[3] – دي سوسير ، علم اللغة العام ، مصدر سابق ، ص 140

[4] – مرتضى جواد باقر ، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ط1 ، 2002 ، ص 63.

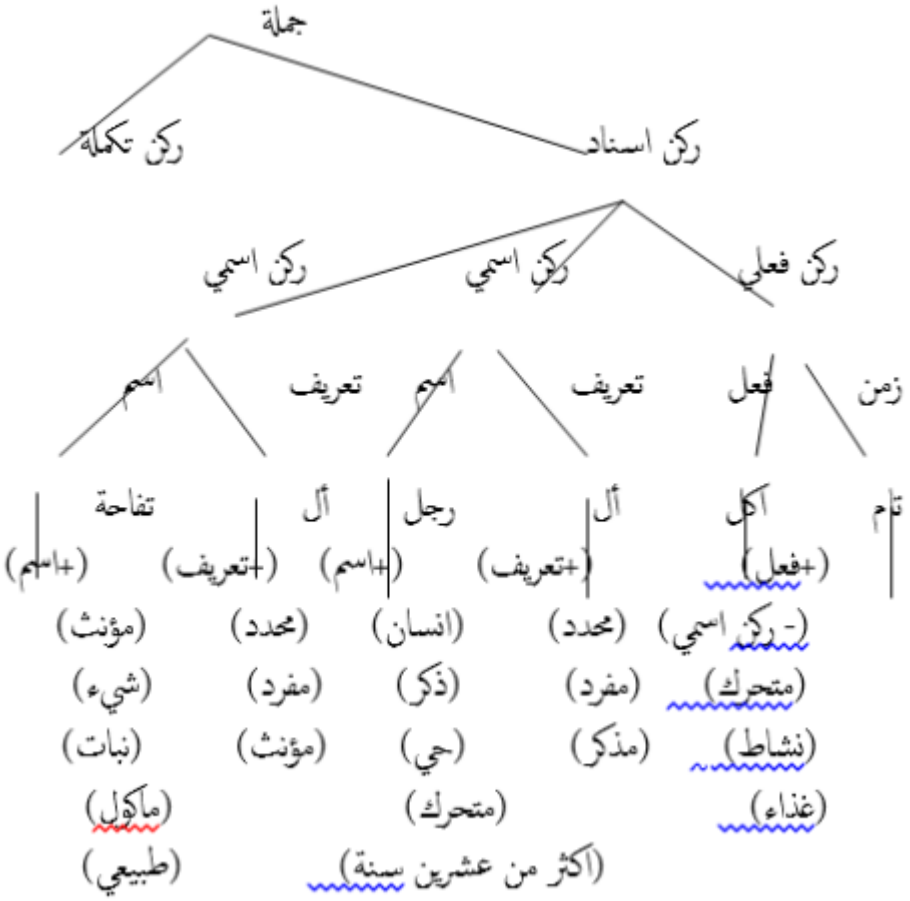
جملة
ركن تكملة
ركن اسناد
ركن اسمي
ركن اسمي
ركن فعلي
اسم
تعريف
اسم
تعريف
فعل
زمن
تفاحة
أل
رجل
أل
أكل
تام
(+اسم)
(+تعريف)
(+اسم)
(+تعريف)
(+فعل)
(- ركن اسمي)
(مؤنث)
(محدد)
(انسان)
(محدد)
(متحرك)
(شيء)
(مفرد)
(ذكر)
(مفرد)
(نشاط)
(نبات)
(مؤنث)
(حي)
(مذكر)
(غذاء)
(مأكول)
(متحرك)
(طبيعي)
(أكثر من عشرين سنة)

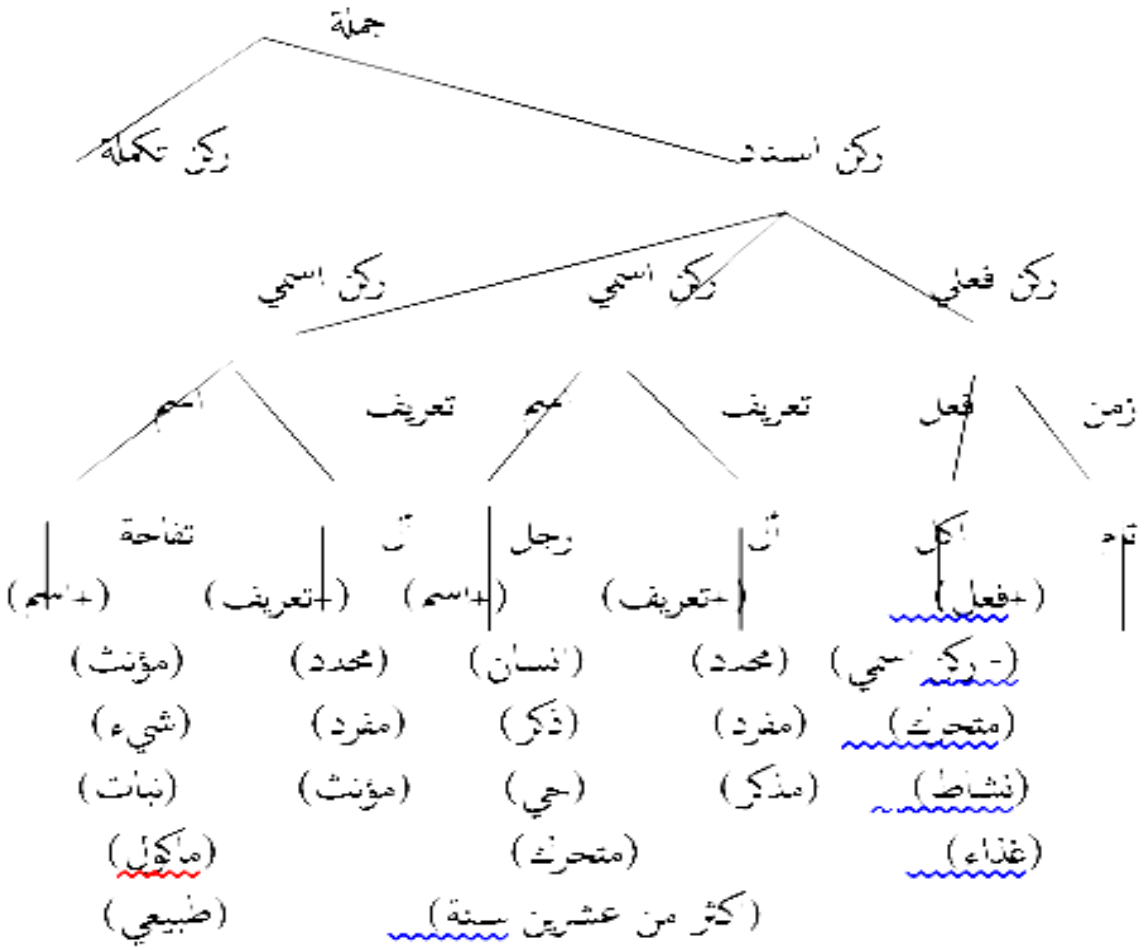

والحديث عن التوليد والتحويل يأخذنا كذلك إلى التناص، حيث تشكّل النّصوص السابقة ملكة هذه الملكة يتم تحويلها إلى نصوص أخرى في العملية الابداعية. فميخائيل باختين الذي يستند إلى فلسفة ماركسية يرى أن الخطابات تعبّر عن الصراع الفكري الموجود في المجتمع

وأنّ الأفراد بانتماءاتهم الاجتماعية يعبّرون عن الطّبقة التي ينتمون إليها[1]، ويشترك في ذلك مع لوسيان غولدمان وجاك لاكان وجوليا كرستيفا[2].

فالخطاب عند ميخائيل باختين يدخل في حوارية مع خطابات أخرى سابقة أو متزامنة، أما ميشال فوكو فيرى أنّ السلطة هي من تتدخل في الخطابات والسلطة مبثوثة في جميع أشكال الخطاب، سواء أكانت هذه السّلطة اجتماعية أو سياسية أو فكرية ودينية، أو ايديولوجية، وتشكّل أنساقه المضمرة، ويتّضح ذلك أكثر من خلال الكشف عن طبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع، وتأثير المؤسسة الاجتماعية والسياسية في تشكيل الذّات على نحو ما [3].

وعلاقة النصوص بالمجتمع والفكر أو استعمالاتها تأخذنا كذلك إلى الحديث عن الوظائف التي تضطلع بها اللّغة والنصوص اجتماعيا ، وقد تنبّه غلى ذلك مايكل هالداي[4]، وهذا الأخير قد استثمر أفكار جون فيرث ، حيث انتقل الحديث من الكفاءة اللغوية إلى الحديث عن الكفاءة التّواصلية واستخدامات اللغة في المواقف والسياقات المختلفة [5].

---

[1] – تزفيطان تودوروف ، ميخائيل باختين : المبدأ الحواري ، تر: فخري صالح، مرجع سابق ، ص 161.

[2] – حسين خمري ، بنية الخطاب الأدبي ، اتّحاد الكتاب الجزائريين ، الجزائر ، ط1 ، 1983، ص 07.

[3] – حسين موسى ، ميشال فوكو – الفرد والمجتمع ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، بالتعاون مع مخبر الفلسفة ،جامعة تونس ، ط1 ،2009، ص 68، ص 69.

[4] – .إبراهيم عبدالتواب حمزة ، اللسانيات الوظيفية النظامية الوافد الغربي والنحو العربي، مؤسسة الأمة للطباعة والنشر ،ط1 ، 2020، ص 15.

[5] – يحي عبابنة ، آمنة الزّعبي ، علم اللغة المعاصر ،مقدّمات وتطبيقات ، دار الكتاب الثقافي ، اربد ، الاردن ، ط1 ، 2005 ، ص 39.

إنّ كل خطاب ينطوي بلا شكّ على مستويين، مستوى سطحي هو ما يسمى بالتركيب اللغوي، ومستوى عميق أو ما يمكن أن يطبق عليه المستوى النفسي أو الوجداني. هذين المستويين جعلهما شلايرماخر عمدة التأويل الابستمولوجي عنده[1]، وعلى هديه سار فيلهالم ديلتاي حيث رأى أنّ الفنّ تعبير عن تجربة العيش[2]، والتحليل الظّاهراتي عند هوسرل ادموند الذي يركّز على مركزية ذات المؤلّف[3] ، لكن مع هيدغر وتلميذه هانس جورج غادمير بدأ الحديث عن دور المتلقي في تأويل النّصوص[4] .

إنّ الحديث عن نظرية التّأويل هنا يقودنا إلى ما توجته الأبحاث في هذا الميدان بما يطلق عليه نظرية التلقي ، وما حملته من مصطلحات، كالمسافة الجمالية والمسافة التاريخية أفق التّلقي ، وتجاوز الأفق ، وانصهار الآفاق ، جامعة بين البعد الشكلي للنّص والمضمون الفكري وسيرورة الدّلالة[5] .

[1] – مجموعة مؤلفين ، لتأويل والهرمنوطيقا: دراسات في آليات التأويل والقراءة والتفسير ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2011 ، ص 175.

[2] – مجموعة مؤلفين ، لتأويل والهرمنوطيقا: دراسات في آليات التأويل والقراءة والتفسير، المرجع السابق ، ص 177.

[3] – خليف خضير الحياني، التأويلية: مقاربة وتطبيق : مشروع قراءة في شعر فاضل العزاوي، دار غيداء للنشر و التوزيع، عمان ، الاردن ، ط1 ، 2013، ص 51.

[4] – محمد شوقي الزين ، تأويلات وتفكيكات: فصول في الفكر الغربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب ، بيروت ، لبنان ط1 ، 2002 ، ص 38.

[5] – حفناوي بعلي ، لترجمة وجماليات التلقي المبادلات الفكرية الثقافية ، دروب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دار اليازوري للنشر والتوزيع عمان ، الاردن ، ط1 ، 2018 ، ص 27.

وإذا كان الجرجاني قد أشار إلى انتظام عناصر الجملة على نحو يمليه حال المتكلم وموقفه وقصده (الجانب النفسي) فإنّ فان ديك لا يختلف عنه كثيرا في حديثه عن خطابية النّص. حيث يجعل من الخطاب البناء الهيكلي للنّص والموزّع لوحداته على النحو الذي يتجلّى في شكل النّص في بعده المادي[1].

وعود على بدء ، فالحديث عن الاعتباطية عند دي سوسير وإلغاء المرجع يقودنا للحديث عن انفتاح الدّلالة أيضا، فالتفكيكية ألغت سلطة العقل الذي يهيمن على النّص، بمقولة موت المؤلّف وانتقاد صرامة المنهج ، بيد أنّ مقولة موت المؤلّف هي نفسها مقولة البنيوية [2]، أمّا الانفتاح على القارئ وما يتبعه من انفتاح دلالة النّص، فلا يعدوا إلاّ أن يكون ناتجا عن الاعتباطية القائمة بين الدّال والمدلول التي قال بها دي سوسير.

إنّ الحديث عن ما بعد البنيوية ينقلنا إلى مسألة مهمّة وهي استبدال مصطلح الفكر الذي كان شائعا في العنواين بمصطلح الخطاب، فقديما كان يستعمل الفكر الفلسفي، الفكر الديني، الفكر الشيوعي، التفكير البلاغي،،،، إلخ، والآن أضحى استخدام مصطلح الخطاب الفلسفي والخطاب الديني والخطاب البلاغي ،،،، إلخ، وهذه النقلة تشير إلى علاقة الخطاب بالفكر ، فالفكر ليس هو الفهم الذي يتمّ في الذّهن، ولا المعنى الثاوي في النّص، ولا العلاقة

[1]– مولاي مروان العلوي ،الشرطيات في لسانيات الخطاب: دراسة منطقية ودلالية ، تقديم : عبد الصمد الرّواعي ، نور للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2018 ، ص23.

[2] – عبد الله، عادل، التفكيكية: إرادة الاختلاف و سلطة العقل، دار الحصاد للنّشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 2000، ص 55.

بين أطراف العملية التّواصلية ، بل كلّ ما يحفّ عملية التّلفظ ويوحي إليه الملفوظ أو ينتمي إليه من جنس أو نوع [1].

أمّا في الخطاب الحجاجي فإنّ الخطاب ككلّ كلام لا يكون مفيدا إلاّ بوجود مخاطب ومستمع، لكلّ مقامه، ويفترض في مقام المستمع الاعتراض، أما مقام المتكلّم فمقامه العرض ويمكن أن يتبادلا الأدوار[2].

أمّا بنائية الخطاب فيكون إنشاء تدريجيا سواء بالانتقال من المجمل إلى التفصيل، ومن الإبهام إلى التّبيين، ومن الغموض إلى التّجلّي، وما يمكن أن يطرأ عليها من تحولات استدلالية من الإدّعاء إلى الاعتراض ومن الاثبات إلى الابطال أو العكس. مما يمنح المحاور أو المستمع دورا مهما في بناء الموضوع [3].

أمّا من حيث وصف الخطاب فإنّ المسلّمة الوصفية تفيد اشتراك المتخاطبين في الموضوعات الموصوفة وجملة الصّفات التي تسند إلى هذه الموضوعات ، فالموضوع موجود مخصوص ، أمّا التّخاطب فهو لغة ، ولا يمكن نقل الافكار أو الموضوع أو الموجود المخصوص إلاّ عبر اللّغة وعبر صفات (محمولات) مخصوصة [4].

---

[1] – مختار الفجاري ، مفهوم الخطاب بين مرجعه الأصلي وتأصيله في اللغة العربية ، مجلّة كلية الآداب، ع3 ، جامعة طيبة ، السعودية، 2013، ص 536.

[2] – طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوّثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، بيروت، لبنان ، ط1 ، 1998 ، ص 279.

[3] – نفسه ، ص 279.

[4] – نفسه ، ص 279.

المحاضرة الثّامنة:

النّص ما بعد الجملة

تمهيد:

لقد شكّلت الجملة محور اهتمام الدراسات اللّغوية منذ القديم ، أي منذ بداية التفكير اللغوي الذي وصلنا، سواء عند الهنود أو اليونانيين القدامى، مرورا بالتفكير اللغوي عند العرب ـ عموما ـ ، وظلّت الجملة هي محور الدرس اللغوي في اللسانيات المعاصرة التي أرسى أسسها العالم فرديناند دي سوسير في أوائل القرن العشرين إلى غاية المنتصف الثاني من القرن نفسه ، وبالضبط في ستينيات القرن الماضي حيث حدثت الطفرة العلمية في هذا الحقل (اللسانيات) على يد زليغ سبتاي هاريس الذي جعل من النّص محور الوصف اللّساني ، فانتقلت بذلك اللسانيات من الجملة إلى النّص .غير أنّ هذا لا يعني أنّ التفكير في النّص كان غائبا في الوعي البلاغي والنقدي كلّيا .

أ – النّص في التفكير النقدي والبلاغي قبل اللّسانيات :

لم يكن النّص بمنأى عن الاهتمام، فقد كان حاضرا على الدوام من الوجهة البلاغية والنقدية، سواء عند اليونايين أوعند العرب القدامى وحتى ما قبل لسانيات النّص في التّفكيرين البلاغي والأسلوبي الحديث.

فإذا ما تمّت العودة إلى العصر اليوناني، فإنّه لا مناص من الوقوف على الفضاء الذي نمت وازدهرت فيه الخطابة ، إذ كان المناخ يحفل بسجالات فلسفية وسياسية وقضائية ، وهو ما جعل الحجاج يشكّل ميزة البلاغة اليونانية ، حيث كانت البلاغة تمدّ الخطيب بشتّى أدوات الإقناع ، على النّحو الذي كان سقراط مثلا يعلّمه للخطباء من قبيل ضرورة التناسب

بين النتائج والمقدمات مثلا[1]. بالإضافة إلى ضرورة تجويد الخطبة بتنميق العبارة واختيار أساليب المجاز، والألفاظ المؤثّرة لاستمالة الجماهير، ذلك أنّ الخطبة ذات طابع شفوي ربّما يكون الاهتمام باللّغة ذا أثر بالغ اكثر مما تثيره الحجج المنطقية من تأثير في أسماع الجماهير[2].

ومن صور الاهتمام بالنّص في العصر اليوناني أيضا ما قام به أرسطو من تقسيم للخطبة إلى أربعة أقسام ـ ربّما مازال هذا التقسيم يشكّل البناء التّجريدي للنّص إلى يومنا هذا ـ وهذه الأقسام؛ مقدّمة وعرض وتدليل وخاتمة[3] .

أمّا حضور النّص في التفكير البلاغي العربي القديم فعلى قدر كبير من الأهمية، ذلك أنّ التفكير البلاغي العربي بنحوه وبلاغته ونقده قد أينع في رحاب المتن القرآني، ومصطلح المتن كان هو المستعمل عندهم كمرادف لمصطلح النّص، وهذا الأخير كان يقصد به "القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشّريف" كما يتجلى ذلك في كتاب الرّسالة للشافعي[4]. غير أنّ هذا لا يهمّ كثيرا، ما يهمّ هو احتفال العرب القدامى في التّراث البلاغي والنقدي في فترة ما بعد الوحي بالقرآن الكريم كنصّ، ومن صور هذا الاحتفال ما خلص إليه الجرجاني عبد القاهر من النّظر في القرآن الكريم بما أسماه بالنّظم ، حيث رأى أنّ القرآن الكريم لم يتجاوز النصوص السّابقة له في الزخرف الصّوتي ، ولا في الكلمة المفردة ، ولا المقاطع والفواصل

[1] – عبد الجليل عبده شلبي ، الخطابة وإعداد الخطيب ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1987، ص 144.

[2]– المرجع نفسه ، ص 145.

[3] – عبد الجليل عبده شلبي ، الخطابة وإعداد الخطيب ، المرجع السابق، ص 44.

[4] – محمد بن إدريس الشافعي ، الرسالة ، تحقيق وضبط : أحمد محمد شاكر ، مصطفى بابي الحلبي ، القاهرة مصر، ط1 ، 1938 ، ص 212.

ولا في السّكنات والحركات، وإنّما في النّظم والتّأليف[1]. و ما من أحد لا يذكر تعريف أبي عثمان الجاحظ للشّعر، إذ قال:" الشّعر صناعة، وضرب من النّسج، وجنس من التّصوير." [2]. وكأنّ الجاحظ قد لخّص كثيرا من القول، كإنتاجية النّص باعتباره صناعة يحتاج إلى مهارة وقدرة على التّحويل من المادّة الخام، إلى النّسج أو الاتّساق والانسجام وكذا التّصوير أو بالتّعبير المعاصر الانزياح والشّعرية والتّخييل. ولعلّ في لفظّ النّسج التي ذكرها الجاحظ يلتقي باللّفظ الأجنبي(texte) المشتقة من(texture)[3]، هذا وقد مرّ الحديث ـ فيما سبق ـ عن اهتمام العرب بالمطالع ، فأحسن المطالع ما كان ينبئ عن مقصوده، وأن يختمه بما يشعر بانقضائه[4]. دون نسيان بعض المعايير التي اشترطتها البلاغة العربية كمعياري السّبك والحبك اللذين يعدّان من مقولات علم اللّغة النّصي المعاصر ومن معايير نصّية النّص[5].

أمّا في الدّرس الأسلوبي المعاصر فإنّ النّص عدّ مدونة هامّة للتتبّع السّمات الأسلوبية للمؤلّف، سيّما في الأسلوبية النّفسية مع ليو سبيتزر، الذي شدّد على ضرورة النّظر في كلّ

[1] – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، مصدر سابق ، ص 300.

[2] – نقلا عن : صالح الشتيوي، رؤى فنّية ، قراءات في الأدب العباسي، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، لبنان ، دار فارس للتّوزيع ، عمّان ، الأردن ، ط1 ، 2005 ، ص09.

[3]– عبد الله خضر أحمد ، لسانيات النّص القرآني ، دراسة تطبيقية في الترابط النّصي ، دار القلم للطّباعة و النّشر والتّوزيع بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2017 ، ص 17.

[4] – أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ج1، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد، 1986 ، ص 263.

[5]– سحر محمد فتحي عبد العليم ، مصطلحات منهاج حازم القرطاجني ، دراسة بنية المفاهيم في إطار البنية الكبرى للفكر الأندلسي، تقديم: سليمان عبد العظيم العطار، مؤسسة الأمّة للنّشر والتّوزيع ،القاهرة ، مصر، ط1، 2019، ص 104.

اجزاء النّص، وعدم إغفال ما يراه القارئ عادة أمرا مألوفا، وغير ذي قيمة ، ذلك أنّ النّص يشكّل وحدة متكاملة ، ونفسية المبدع هي مركزها[1].

كما كان النّص محور الدراسات البنيوية ، حيث شكّل النّص بنية نسقية مغلقة ، ولعلّ في هذا المقام يكون من الجدير التّنويه بأعمال فلاديمير بروب ، خاصة كتابه الشهير: " مورفولوجيا الحكاية الشّعبية "، حيث تتبّع فيه مختلف الوظائف المشكّلة للنّص الحكائي الخرافي. وهذا العمل جاء تتويجا للجهد النّقدي والجمالي الذي تكرّس مع الشّكلانيين الرّوس في مطلع القرن العشّرين. دون أن ننسى ما للبنيوية وبزوغ الدراسات النّسقية من أثر كبير على تحوّل مسار النّقد الأدبي والنظرية الأدبية وكذا نظرية النّص، حيث تحوّل انشغال المنظّرين والدارسين والنّقاد إلى جوات النّص، بعدما هيمنت الدّراسات السّياقية ردحا من الزّمن.

وإضافة إلى ما سبق، فقد شكّل النّص دوما مدونة لمختلف العلوم الإنسانية والتّخصّصات كالانثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، وعلم النّفس، والهرمينوطيقا، وعلم الجمال، والفلسفة. وهذه العناية بالنّص ستنعكس ـ فيما بعد ـ على علم تحليل الخطاب، إذ سيتشرّب كلّ هذه التّخصصات، وتتعدّد مصطلحاته، وتختلف أراء الباحثين حول النّص باختلاف زوايا النّظر وتعدّد المشارب، واختلاف المرجعيات.

[1] – وردة بويران ، محاضرات في الأسلوبية وتحليل الخطاب ، دار خالد اللحياني للنّشر والتّوزيع ، عمّان ، الأردن ، ط1 2017 ، ص66 .

ب ـ النّص من نظرية النّص إلى علم لغة النّص:

في معرض الحديث عن الخطاب في اللّسانيات تمّت الإشارة إلى المسار الذي سلكه الدرس اللّساني منذ نشأته إلى غاية المنعطف الذي حوّل فيه موضوع اهتمامه الوصفي ، إذ انتقل من مجال الجملة إلى النّص، وكيف منذ تلك اللّحظة تحوّل الدرس اللّساني المعاصر إلى ما يسمى اليوم بلسانيات النّص أو لسانيات الخطاب، أو علم اللّغة النّصي.

وممّا سبقت الإشارة له، أنّ الدّرس اللّساني في بداياته كان يجعل من الجملة محور المعاينة والوصف، سواء في ميدان لسانيات اللّغة أو لسانيات الكلام (الخطاب)، لكن نوّه البحث ـ وقتذاك ـ بحضور النّص في اهتمامات اللّسانيين، انطلاقا من فردينان دي سوسير إلى غاية زليغ سبتاي هاريس، مرورا بكل من لويس هلمسليف، وإميل بنفنيست، وجون لاينز كعينة من أعلام الدّرس اللّساني المعاصر.

بيد أنّ النّقلة النّوعية في اللّسانيات المعاصرة قد حدثت بفضل جهود أحد أعلام المدرسة السلوكية ، وهو زليغ سبتاي هاريس، فهذا الأخير كان له الفضل في وضع لسانيات الخطاب أو لسانيات النّص، والخطاب هنا مرادف للنّص عند هاريس، إذ كان عنوان مؤلّفه (تحليل الخطاب) نفسه فاتحة لسانيات النّص، وهذا ما خلق لبسا جديدا في مسألة المصطلح تحليل الخطاب، لسانيات النّص، لسانيات الخطاب، نحو النّص ، علم النّص، التّداولية. ومسألة الحدود الفاصلة بينها.

لقد كانت الجملة هي موضوع الوصف اللّساني، وكان ينظر إلى النّص كتراكم من الجمل، كان يفترض من سوسير الذي تنبّه للعلاقة بين العناصر اللّغوية في الجملة أن يتنبّه أيضا للعلاقة القائمة بين عناصر النّص، لكن بقي هذا الاكتشاف إلى وقت آخر إلى غاية ستينيات القرن العشرين. ولعلّ السّبب في ذلك هو فكرة التّتابع الخطّي التي تبنّاها

سوسير في درسه اللّساني، بينما انتبه هاريس إلى البناء الهرمي للنّص انطلاقا من انتباهه للبناء الهرمي للجملة (صوت ، وحدة صرفية أو مورفيم، تركيب أو جملة)[1].

وبينما كان الصّوت هو الوحدة الدّنيا في الجملة كوحدة كبرى، فإنّ الجملة في لسانيات النّص أضحت فيما بعد هي الوحدة الصغرى، بينما النّص هو ما يمثّل الوحدة الكلّية، وكما يفترض أن تحكم الجملة جملة من القواعد النّحوية والتّركيبية، فإنّ النّص بعدّه بنية كبرى لابدّ أنّ تضمن العلاقة بين أجزائه مجموعة معايير أطلق عليها مصطلح :" المعايير النّصّية ".

ولكن من أجل توضيح الفرق بين تحليل الخطاب ولسانيات النّص، لابدّ من العودة إلى الوراء زمنيا، إلى البلاغة الكلاسيكية والأسلوبية وجهود البنيويين المعاصرين التي شكّلت الإرهاصات الأولى للسانيات النّص وتحليل الخطاب. إذ نوّه كلا من فولغانغ هاين مان و ديتر فيهيفجر بالتّراث البلاغي الذي اهتمّ بالقواعد التي تجعل من النّصوص أو الكلام مؤثّرا في الجمهور[2]، فالمعايير البلاغية الكلاسيكية قد اهتمّت بمنتج النّص ، وبنية النّص من خلال حسن استعمال الأسلوب الهادف للإقناع وحسن التّصوير، والقارئ أو المستمع من حيث مراعاة أهوائهم وأحاسيسهم أو انفعالاتهم [3]، ويرى هنريش بليث أن هذه القواعد

[1] – أحمد محمد قدور ، مبادئ اللّسانيات ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط3 ، 2008 ، ص 307.

[2] – فولغانغ هاين مان ، ديتر فيهفجر، مدخل إلى علم لغة النّص ، ترجمة وتعليق : سعيد حسن بحيري ، مكتبة زهراء الشّرق ، القاهرة ، مصر ، ط1، 2004 ، ص 11.

[3] – مراد عبد الرّحمان مبروك ،النّظرية النقدية ، ج4 ، نظرية الاتّصال الأدبي وتحليل الخطاب ، النّص الشّعري أنموذجا دار الأدهم للنّشر والتّوزيع ، القاهرة ، مصر، ط1 ، 2015 ، ص25.

تشكّل في: " مجموعها بناء معقّدا يتكون هيكله من التّبعية والمشابهة والتّحديد، وظيفته الأولى بقيت مع ذلك واحدة، وهي انتاج النّصوص حسب قواعد فنّ معيّن."[1].

أمّا البلاغة العربية فإنّها ـ كما سبقت الإشارة ـ هي بلاغة النّص، حيث انبثقت من النّص مختلف علوم العربية، لأنّها ارتبطت بتأويله وتفسيره أو فهمه على نحو يمنحه السّلطة، وإن غاب نظريا مفهوم النّص في التّراث البلاغي ، كما يرى نصر حامد أبو زيد[2]. غير أنّ هذا لا يهمّنا في الموضوع ـ سوى على سبيل الإشارة ، إذ لا يمكن إغفال حضور النّص في الحضارة العربية والإسلامية، وهي حضارة النّص كما قال نصر حامد أبو زيد[3] ذلك أنّ اللسانيات النّصيّة الغربية المعاصرة قد أغفلت التّراث العربي، إلاّ إذا أتى يوم تبلورت فيه رؤية نصّية عربية المنهل، أضافت للرّصيد اللساني الغربي على النّحو الذي سعى إليه وصرّح به الباحث المغربي محمد خطابي في كتابه لسانيات النّص[4].

الأسلوبية الحديثة والتّي عدّت بلاغة قديمة في ثوب جديد عند بعض الدّارسين، فهي الأخرى قد اعتنت بالنّص، مثلما يتجلّى على نحو خاص في الأسلوبية البنيوية عند ريفاتير حيث يتشكّل النّص من بنيتين، سطحية وعميقة، والأسلوبية التّوزيعية التي تهتم بتوزيع

---

[1] – هنريش بليث ، البلاغة والأسلوبية ، نحو نموذج سيميائي لتحليل النّصوص ، ترجمة وتعليق : محمد العمري ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1999 ، ص 23.

[2] – نصر حامد أبو زيد ، مفهوم النّص ، دراسة في علوم القرآن ، المركز الثقافي العربي ، الدّار البيضاء ، المغرب بيروت ، لبنان ، مؤسّسة مؤمنون بلا حدود ، الرّباط ، المغرب ، ط1 ، 2014 ، ص 09 ، ص 10.

[3] – المرجع نفسه ، ص 09.

[4] – محمد خطابي ، لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، الدّار البيضاء ، المغرب بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1991 ، ص 07.

الوحدات اللّغوية في النّص[1]، دون إغفال الأسلوبية النّفسية كما سبقت الإشارة ، حيث الحالة النّفسية للمؤلّف تشكّل عصب النّص.

وللنّص حضور في الدّراسات الأدبية، على غرار الأسلوبية، ابتداء من جهود الشكلانيين الرّوس فالبنيويين والسّيميائيين، والتفكيكيين، فالنّص ليس مجرّد معطى لغوي، وإن كان مثبتا بالكتابة، وإنّما هو جهاز عبر لساني ـ كما ترى جوليا كرستيفا ـ أي أنّه مشكّل باللّغة، ولكنه يتجاوزها، ليربطه بأنماط مختلفة من الأقوال السّابقة والمتزامنة معه ، أو ما تسمّيه بالتّناص أو انتاجية النّص[2]. ولا يختلف عنها رولان بارت كثيرا، من حيث اعتبار النّص علامة أو جملة من العلامات السّيميولوجية، ذلك أنّ النّص تشكيل لغوي، لكن النّص خاصة الأدبي يقوم على تفجير اللّغة، وهو ما يولّد لذة، والخطاب هو تعبير عن رغبة، لا تختلف عن الرّغبة في القيام بأيّ عمل آخر، وهو حينما يجعل من أيقون كتابه لذّة النّص امرأة عارية، فهو يفرّق بين النّص العلمي، ونصّ الرّغبة. وهنا تظهر الطّاقة السّيميولوجية للّغة ـ فالسّيميولوجيا فرع من اللّسانيات ـ النّص الأدبي ليس بالإغراء فحسب، وإنّما في الكشف والتّحجب[3]، وهكذا يكون النّص الأدبي لعبا لغويا ومنتجا للدّلالة. للعلامات والايديولوجية. حينما نتجاوز النّص كتشكيل لغوي إلى النّص كعمل فني[4]. والنّص عنده نسيج ، ليس بنسيج

[1] – وردة بويران ، محاضرات في الأسلوبية وتحليل الخطاب ، مرجع سابق ، ص60.

[2] – جوليا كرستيفا ، علم النّص، ترجمة : فريد الزّاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنّشر والتّوزيع، الدّار البيضاء المغرب ، ط2 ، 1997، ص 65.

[3] -Michael Moriarty, Roland Barthes, Stanford University Press, Stanford , California,Usa 1991, p190,p191.

[4] - ibid , p144.

لغوي فحسب، بل هو نسيج من العلامات والدّلالات، نسيج في إبداعه، وفي استقباله، إنّه نسيج من النّصوص السابقة حيث يدخل معها في تناص[1].

هذا إضافة إلى اهتمام الجماليات والهيرمينوطيقا بالنّص، إذ نجد النّص عند بول ريكور فهو يتّفق مع رولان بارت في تشرّب النّص للنّصوص السّابقة، وتحوّلها إلى رموز في النّص الجديد عبر فعل التّخييل، فالتّاريخ في السّرديات هو مرجع وهمي ، إنّما هو عبارة عن مجموعة من الرّموز الثقافية يعاد استدعاؤها أو انتاجها من جديد ، فالنّص ينقل تجربة العالم ، ولا ينقل العالم . وبالتّالي فثمّة إعادة صياغة للعالم ، صياغة تعكس رؤية الكاتب وموقفه، وبالتّالي يكون النّص نتاج تفاعل بين خمسة أقطاب، تجربة العالم، المؤلّف، البنية السّردية، التّخييل، والتّلقي[2] .

وفي المجمل يمكن القول؛ إن النّص من النّاحية التنّظرية مستغرق في التّاريخ، منذ زمن طويل، إلاّ أنّ نظرية النّص حديثة النّشأة، إذ لها روافد فلسفية وايديولوجية ونقدية وجمالية والشّعرية[3]، تجعلها تختلف تماما عن علم اللّغة النّصي، الذي هو بحث لساني لغوي، وإن انفتح منذ فترة وجيزة على محيط النّص الثّقافي والاجتماعي، أو السّياق العام، وهو ما اصطلح عليه: " علم النّص". فنظرية النّص هي وريثة نظرية الأدب ، بينما علم اللغّة النّصي هو وريث علم اللّغة العام أو لسانيات الجملة . أمّا الفرق بين علم اللّغة النّصي وعلم النّص، فيرى الباحث أنّ علم النّص يشمل أبحاث نظرية النّص وإسهامات علم اللّغة النّصي.

---

[1] - ibid , 147.

[2] – محمد بوعزّة ، تأويل النّص ، من الشّعرية إلى مابعد الكولونيالية ، مرجع سابق ، ص 55 ، ص 56.

[3] – حامد مردان سامر ، تلقي النص في الخطاب النقدي العربي المعاصر ، منشورات ضفاف، بيروت ، لبنان منشورات الاختلاف ، الجزائر ، دار الفكر للنّشر والتّوزيع ، البصرة ، العراق ، ط1 ، 2015، ص79.

ذلك أنّ علم النّص يتجاوز الفحص اللّغوي أو الوصف اللّساني إلى أبعاد النّص الدّلالية من خلال ربطه بالموقف الاجتماعي والسّياق الثّقافي[1].

كما ثمّة فرق بين لسانيات النّص ولسانيات الخطاب، في حالة ما إذا كان الخطاب مختلفا عن النّص من حيث المفهوم ، فلسانيات النّص تهتّم بالعلاقات الدّاخلية المشكّلة لبنى النّص، في حين تهتّم لسانيات الخطاب، بعلاقة الجانب اللّغوي بالموقف والسّياق الاجتماعي والثّقافي. أمّا تحليل الخطاب فيكون أشمل، إذ إنّ تحليل الخطاب يتناول كلّ هذا إضافة إلى تجاوزه الجانب اللّساني إلى مختلف التّخصصات الأخرى كعلم النّفس، وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا، وتاريخ الأفكار، والهرمينوطيقا، وغيرها. غير أنّ العصب الرّئيس المشترك الذي يشكّل نقطة الانطلاق هو المكوّن اللّساني:

[1] – نعيمة سعدية ، لسانيات النّص والخطاب الشّعري ، دراسة في شعر محمد الماغوط ، مرجع سابق ، ص 75.

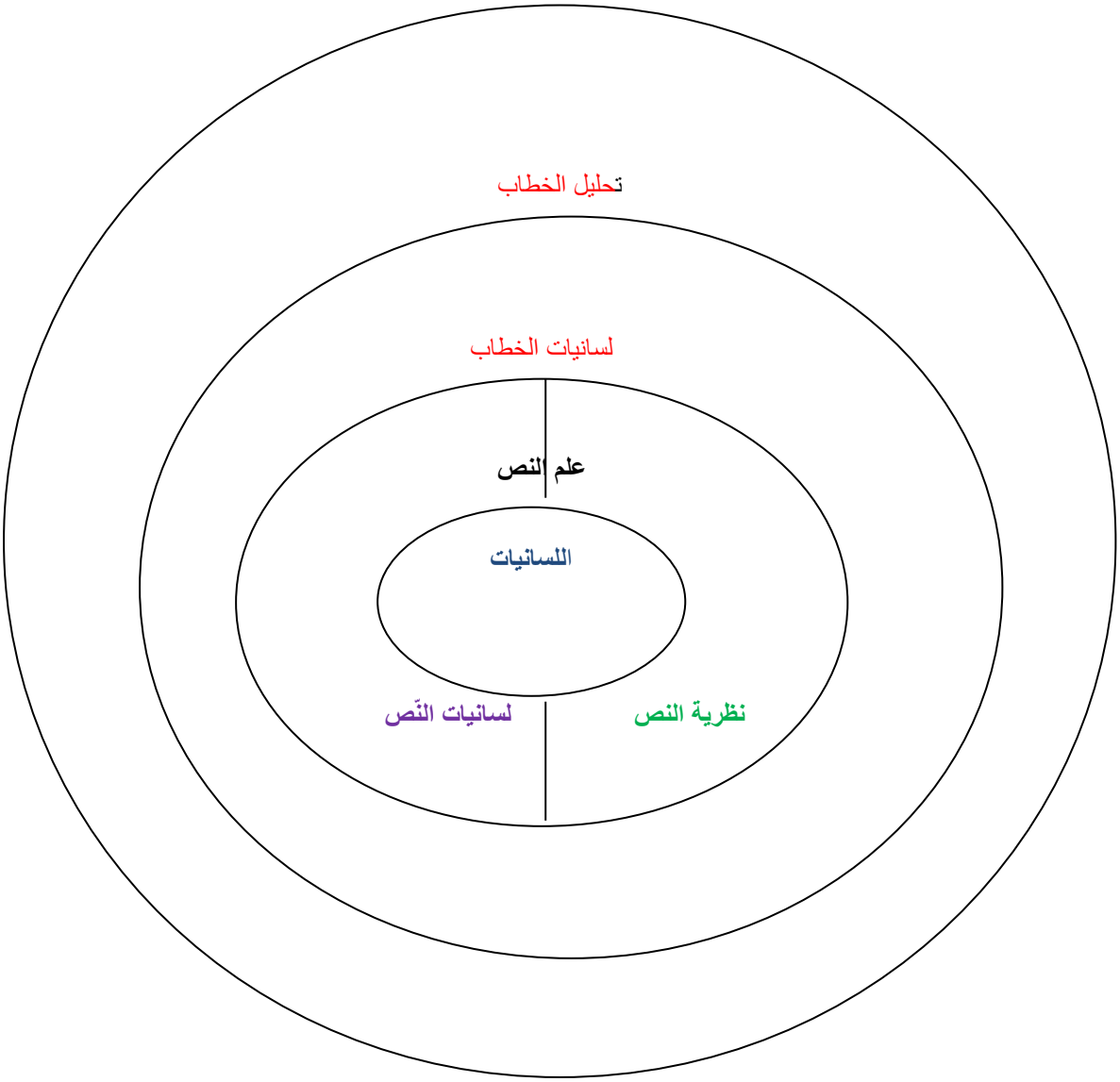

ولعلّه من الجدير قبل الانتقال إلى الحديث عن النّص في علم اللّغة النّصي التّنويه بتأثير الفكر الفلسفي الأنطولوجي عند هيدغر، والمتمركز على اللّغة[1]، وإلحاحه على ضرورة

[1] – فرانسوا راستيي ، فنون النّص وعلومه، ترجمة : إدريس الخطاب ، دار توبقال للنّشر والتّوزيع ، الدّار البيضاء المغرب ، ط1 ، 2010، ص 43 .

الإصغاء الجيد للنّص بغية فهمه وتأويله، بعدّه كينونة مستقلّه عن المؤّلف، لا تختلف عن الطّبيعة من حيث صفتي الكشف والتّحجب[1].

صحيح أنّ النّص هو استعمال للّغة، وهو بذلك كما يرى سوسير خطاب، لكن مادام النّص عند أغلب اللّسانيين والدّارسين يتميّز بالثّبات عبر فعل الكتابة ، فإن الخطاب آني من جهة ، وشفوي من جهة أخرى ، كما أنّ الخطاب يتجاوز النّص في مفهومه العام كتعبير عن فكر، أو ممارسة منتظمة لمجموعة من الأدلّة التي تنتظم في نسق، سواء أكان هذا النسق ظاهرا أم مضمرا. ومن هنا استدعت الضّرورة المنهجية إلى بيان الفصل بين لسانيات النّص ولسانيات الخطاب، أمّا الجامع لكلّ هذه العلوم فهو تحليل الخطاب، فتحليل الخطاب يتجاوز الوصف اللّساني، وتحليل المضمون كعملية تأويلية وفنّ للفهم الموضوعي لمختلف المدونات تشترك فيه مختلف التّخصّصات.

في الحقيقة هذا المزيج من الاختصاصات يطال علم اللغة النّصي أيضا، حيث إنّ الرّوافد البلاغية والأسلوبية والفلسفية والنقدية واللّسانية والحجاجية كلّها شكّلت فسيفساء هذا العلم الجديد، وولّدت مأزق المصطلح أو المفهوم، وتباين المناهج، وتعدد زوايا النّظر، كما بيّن ذلك سعيد حسن بحيري في مقدّمة كتابه علمّ لغة النّص نحو آفاق جديدة[2].

وحتّى يتمّ تجنب التكرار الممل، سيتمّ مواصلة الحديث عن النّص ونحوه كوحدة دلالية ونحوية تختلف عن الجملة في المحاضرة الموالية.

---

[1]– الزّواوي بغورة ، الفلسفة واللّغة ، نقد المنعطف اللّغوي في الفلسفة المعاصرة ، دار الطّليعة ، بيروت ، لبنان ، ط1 2005 ، ص 114.

[2] – مجموعة مؤلّفين ، علم لغة النّص، نحو آفاق جديدة ، تعريب ، سعيد حسن بحيري ، مكتبة زهراء الشّرق ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2007 ، ص 11.

المحاضرة التّاسعة

النّص وحدة دلالية

تمهيد :

كانت الدّراسات اللّغوية تهتمّ في بداياتها بالكلمة ، ثمّ انتقل اهتمام اللّغويين إلى الجملة وعناصرها، وقد شكّلت الجملة اهتماما اللسانيات الحديثة أيضا، كوحدة نحوية ودلالية كبرى لكن بمطلع النصف الثاني من القرن العشرين حدثت نقلة في الدّرس اللّساني المعاصر حيث انتقل الدرس اللغوي من الجملة إلى النّص، فيما أضحى يسمّى بتسميات مختلفة ؛ تحليل الخطاب، نحو النّص، علم لغة النّص، لسانيات النّص، لسانيات الخطاب، علم النّص. لكن قبل الخوض في غمار الحديث عن النّص كوحدة دلالية في لسانيات النّص المعاصرة يمكن العودة إلى بعض ملامح هذا التّصور في البلاغة والتأويل ما قبل نضج الدراسات في علم لغة النّص المعاصر.

أ – النّص وحدة دلالية في التفكير البلاغي والتأويلي عند القدامى:

في هذا السّياق يمكن استذكار مثال قد سلف ذكره في موضع سابق من التفكير البلاغي العربي، يتعلق هذا المثال بقصّة الأعرابي مع الأصمعي حين لحن في قراءته لقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(38)﴾[1]. وقد نبّهنا إلى فطنة الاعرابي إلى موضع الخطأ، ولكن في ذاك الموضع ربطناه بعلاقة الكلام بسياق الموقف، بيد أنّ الأمر يتجاوز مجرّد نباهة الأعرابي لعلاقة الكلام بالموقف وإنّما الكلام ككلّ لا بدّ أن يحمل دلالة كلّية واحدة تحقّق له انسجامه، وترفع عنه الخلل

[1] – القرآن الكريم ، سورة المائدة ، الآية 38.

أو التّعارض الذي يخلّ بالمعنى، فالأعرابي تتّبع سياق القول، وفهم قصدية المتكلّم في الموقف، فلمح تعارض النتيجة مع المقدّمة تعارضا دلاليا يستحيل أن يكون من كلام الله.

كما لا يمكن إغفال ظاهرة تفسير القرآن بالقرآن وأهميتها في التفكير النّصي عند المفسرين، إذ عدّوا كلام الله كلّه في اتساقه وانسجامه كالسّورة الواحدة[1]، تحمل قصد المتكلّم وأغراضه ومقاصده عقيدة وتشريعا، بل جعلوه أبلغ من تفسيره بغيره على النّحو الذي بيّنه الشّاطبي وغيره[2].

وهذا جلال الدّين السيوطي يتحدّث عن انسجام النّص القرآني، فيقول: " الأمر الكلّي المفيد لعرفان مناسبة الآيات في جميع القرآن هو انّك تنظر إلى **الغرض** الذي سيقت لأجله السّورة وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدّمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدّمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدّمات إلى ما تستتبعه من استشراف نفس السّامع من الاحكام واللوازم التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلّي المعين على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن ، فإذا فعلته بيّن لك وجه النّظم مفصّلا بين آية وآية في كلّ سورة وسورة ." [3].

---

[1] – عبد الرحمان بودرع ، في لسانيات النّص وتحليل الخطاب ، نحو قراءة لسانية في البناء النّصي للقرآن الكريم، المؤتمر الدولي الأول لتطوير الدراسات القرآنية، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض ، السّعودية ، 2013، ص 41.

[2] – أحمد بن محمد البريدي ، تفسير القرآن بالقرآن، دراسة تأصيلية ، مجلة معهد الإمام الشّاطبي للدّراسات القرآنية ، العدد 02، جدة ، السعودية، ديسمبر 2006، ص15.

[3] – جلال الدّين عبد الرحمان أبي بكر السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبط وتصحيح : أحمد شمس الدين المجلد الاول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1988، ص49.

وقد أشرنا أيضا إلى شروط قد وضعها من قبل أرسطو في الحضارة اليونانية لفن الخطابة في بيانه أقسام الخطبة وشروط المحاججة والإقناع، حيث تكون الخواتيم من جنس الموضوع والنتائج وليدة المنطلقات في بسط القضايا[1]*.

كما لا يمكن كذلك نسيان ما أسماه أوغسطين بالدائرة التأويلية[2] التي اعتمدها فيما بعد شلايرماخر الفيلسوف الألماني بنوع من التعديل في إطار الآني والتّاريخي، أو الخاص والعام[3]، وهذه الدائرة تتمثل في علاقة الجزء بالكل، والكلّ بالجزء، فدلالة الألفاظ في علاقتها ببعضها البعض هي التي تصنع دلالة النّص ككلّ، ودلالة الكلّ أو النّص هي التي تفسّر دلالة اللفظ عند الاستعمال.

ب ـ النص ما بعد الجملة في الدّرس اللّساني المعاصر:

قبل الحديث عن الوحدة الدلالية للنّص في الدّرس اللّساني المعاصر، لا بدّ من التّنبيه غلى إرهاصات التفكير النّصي في اللّسانيات، فإضافة إلى ما تمّت الإشارة إليه سابقا من اهتمام بالنّص عند دي سوسير وهلميسليف ولاينز وغيرهم من اللّسانيين، فإنّه لا يمكن إغفال

[1] – فيليب بروتون ، جيل جوتييه ، تاريخ نظرية الحجاج ، ترجمة : محمد صالح ناجي الغامدي ، مركز النّشر العلمي جدة ، السعودية ، ط1 ، 2011 ، ص37. ينظر في الجدول.

*– النّص في البلاغة والأسلوبيه هو تعبير عن الفكر ، إذ تهتم البلاغة بمعايير التّعبير عن الفكرة ، وتهتم الأسلوبية بالإمكانات المتاحة والطرق المختلفة للتّعبير عن الفكرة نفسها.

[2] -Cristian berner, Céline denat,Véronique le ru , Stéphan marchand, Emmanuel salanski, Ariel suhamy, Isabel weiss, L’ interprétation, J. VRIN , France,2010, p29

[3] -ibid, p79.

النّص كعلامة عند بيتر هارتمان في مؤتمر كونستانس سنة 1968[1]. رغم ما يطرح هذا الوصف من إشكالات كالعلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول من وجهة نظر دي سوسير مثلا. والذي يحتاج إلى المواضعة، وهو شرط لا يمكن أن ننزله على النّص الذي لا يحتاج إلى المواضعة في جانبه الدّلالي، بالقدر الذي ينفتح على القراءة والتأويل[2]. فاعتباطية العلاقة هي التي أتاحت للتفكيكين فتح النّص على قراءة لا متناهية ، ذلك أنّ النّص مستقلّ عن قصدية مؤلّفه، وكلّ قراءة هي إساء للنّص نتيجة لعبة التّبادل بين الدوال والمدلولات الأمر الذي حتّم على بعض النّقاد وضح حدود لعملية التأويل على غرار أمبرتو إيكو وإدوارد سعيد، هذا الاخير الذي عمد إلى هرمينوطيقا فيلهام ديلتاي بمنهجه التاريخي ليستعيد تجربة المؤلّف وقصديته وكذا الظروف التاريخية التي انبثق فيها النّص[3]*.

بعدما كانت الجملة هي محور الدّرس اللساني المعاصر، وبعدما كان ينظر إلى النّص كجمل متتالية، فإنّ ما ترتّب من تحوّل كلّي في الدرس اللّساني ـ بفضل الدراسة التي حملت عنوان: " تحليل الخطاب " للّساني الأمريكي زليغ سبتاي هاريس ـ إلى لسانيات النّص، قد

[1] – هشام القلفاط وآخرون ، مقالات في تحليل الخطاب ، تقديم حمادي صمود ، كلذية الآداب والفنون والإنسانيات جامعة منوبة ، وحدة البحث في تحليل الخطاب ، تونس ، 2008 ، ص54.

[2] – هشام القلفاط وآخرون ، مقالات في تحليل الخطاب ، المرجع السابق ، ص 55.

[3] – اسماعيل مهنانة وآخرون ، إدوارد سعيد ، الهجنة والسرد والثقافة ، منشورات القرن 21، الجزائر ، ط1 ، 2016.

*– يلاحظ القارئ استخدام مصطلحات ، تحليل ، شرح ، تأويل ، قراءة ، تفسير ، وهي كلّها متاخمة لمفهوم التحليل ، بيد أنّه تستعمل بتباين في العلوم ، فالتفسير نجده أغلب على النصوص الدينية وذو وسم يحفظ مقصدية النّص ، امّا الشرح فذو منزع بلاغي ، و التحليل يحمل طابع العلمية ، والتأويل ذو صبغة فلسفية هيرمينوطيقية ، والقراءة مصطلح نقدي .

كان فاتحة ظهور هذا العلم الجديد الذي اتّخذ تسميات عديدة نتيجة اختلاف المشارب وزوايا النّظر: (" تحليل الخطاب " علم لغة النّص " نحو النّص " لسانيات الخطاب") .

فالمنهج التّوزيعي الذي اعتمده هاريس في دراسته سمحت له بالكشف عن توزيع الوحدات اللغوية في النّص، وتغيّر دلالة الوحدات من مدونة إلى أخرى، وهذا التّغيّر الدّلالي الحاصل للدّوال في المدونات، يكشف عن وجود علاقات جديدة للدّوال في كلّ مدونة فالنّظر إلى النّص لم يعد خطّيا أفقيا، وإن كان التوزيع يرتكز على فكرة التّتابع أو السلسلة ، أي النّص كتجميع للجمل، وإنّما بنظرة شاقولية أو هرمية تسمح بمعاينة العلاقات المتجددة للدّوال داخل كلّ نص وعلاقات التّجاور التي تتخذها بعض العناصر اللّغوية في النّص في جميع الحالات أو في كلّ المواقع في النّص أو في الكتاب[1].

إلاّ أنّ المنهج التوزيعي الذي تبناه هاريس هو منهج بنيوي، ينزع نحو وصف الشكل اللّغوي ولا يهتم بالمعنى، ذلك أنّ اللّغة مادّة تسمح بالمعاينة، أمّا ما لا ينتمي إلى المّادة اللّغوية كالمواقف الاجتماعية والممارسات الثّقافية (المعنى) فهو خارج مجال الوصف اللّغوي لأنّه ببساطة لا ينتمي إلى عالم اللّغة أو الخطاب (الكلام).

كما لا يمكن أن ننسى محاولات كلا من رونالد هارفيغ في كتابه:(الضمير وتكوين النّص) سنة 1968، الذي تتّبع فيه توزيع الضمائر في النّص، وما تسهم به من ربط لعناصر النّص والإحالة على مرجع معين ، سواء اكان هذا الرّبط يمينا أو يسارا أي بعديا أو قبليا، وتصاعديا وتنازليا عبر النّص[2]. لكن رغم قيمة هذا العمل فإنّه مع طول النّص

[1] - ZELLIG .S,HARRIS.Discourse Analysis, Language , volume 28,N°01 , (jan- mar 1952), linguistic society of america, 2008, p05.

[2] - Maurice Kauffer, Les mots composés allemands en texte: essai de synthèse méthodologique et critique Peter Lang, bern, Allemagne, 2005, p107.

يصبح تتبّع هذا الرّبط أو الإحالة أمرا عسيرا . وكذا محاولة هارولد فاينريش الذي تحدّث عن هيمنة الفعل الفعل الماضي في السّرد ، والذي يعدّ علامة نصّية تسمح بالربط بين مختلف أجزاء النّص[1].

ج – النّص والوحدة الدّلالية :

غير أنّ النّص ليس مجرد وحدة نحوية تركيبية، وإنّما هو وحدة دلالية يشترط فيها انسجام المعنى الكلّي للجمل المشكّلة له، وإذا كانت الوحدة النّحوية أو التّركيبية عبارة عن سلسلة خطية منتظمة ومتّسقة بروابط لفظية، فإنّ الوحدة الدّلالية بالقدر الذي تعتمد على التركيب النّحوي ومقتضياته، كما يرى الجرجاني في نظرية النّظم، بالقدر الذي تنفتح على المقام أو السّياق الخارجي والظّروف الحافّة بإنتاج الخطاب، سواء عند المتكلّم أو المبدع أو المتلقي، ذلك أنّ النّص كما يحمل قصدية مؤلّفه، ينطوي على دلالات قد ينتجها القارئ بخبرته بالنّصوص وأنواع الخطابات.

وإذا كانت العناصر اللّغوية التي تربط عناصر النّص بعضها ببعض ـ كالإحالات السّابقة واللاحقة وحروف العطف وأدوات الشّرط والاستدراك ـ تحققّ التّماسك النّصي على المستوى الخطّي، من وجهة نظر دي بوجراند، فإنّ البنية الكبرى والتّرابط السّببي والافتراضي، والوحدة النفسية، وغيرهما يحقّقان للنّص انسجامه المعنوي، وهو معيار متعلّق بالجانب العرفاني والتّداولي والثقافي والمعرفي الذي يجمع بين المبدع والمتلقي في آن واحد

[1] -Harald Weinrich, Conscience linguistique et lectures littéraires, Volume 160, Editions MSH, (maison des siences de l’homme), paris, 1989, p12.

أو هو مشروط بالسّياق عموما[1]. وثمّة عودة إلى هذه النقطة بتفصيل أوفى في معرض الحديث عن مقاييس نصيّة النّص.

ونستشف هذه النظرة للخطاب كوحدة دلالية عند الكثير من الدّارسين واللّسانيين الغربيين مثل تعريف ديفيد نونان بقوله : قطعة من اللّغة تتألّف من جمل تبدوا مترابطة ترابطا ما ."[2]. وتعريف كهذا يستحضر في ذهن قارئه تعريف الجاحظ للشّعر بقوله " ضرب من النّسج "[3]، سواء أكان هذا التّرابط ترابطا من حيث الشكل أو في المضمون ، أمّا من الدّارسين العرب الذين توخّوا فكرة الوحد الدّلالية محمد محمد يونس علي، إذ يقول في تعريفه للخطاب :" هو كل بنية متماسكة مركّبة من مضمون إبلاغي أو معرفي أو عقدي أو عاطفي، وشكل ملفوظ أو مكتوب تصدر من متكلّم عاقل وترتبط بغرض ما "[4]. ويعقّب عن هذا التّعريف بقوله: " ومما روعي في هذا التّعريف تعزيز فكرة التّلاحم بين المضمون والشّكل وعدم الإنفصال بينهما."[5].

---

[1]- Robert De Beaugrande, Linguistic Theory: The Discourse of Fundamental Works, Routledge,Taylor & Francis group , NewYork, Usa, London , United kingdom, 1991, p275, p276.

[2] – نقلا عن : محمد محمد يونس علي ، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى ، نحو بناء نظرية المسالك والغايات ، مرجع سابق ،ص17.

[3] – نقلا عن :صالح الشتيوي، رؤى فنّية ، قراءات في الأدب العباسي ، مرجع سابق ، ص 09

[4]– محمد محمد يونس علي ، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى ، نحو بناء نظرية المسالك والغايات، مرجع سابق، ص 18.

[5] – المرجع نفسه ، ص 18.

لكن الحديث عن الوحدة الدّلالية للنّص يعود الفضل فيه ربّما- إلى مفهوم التّشاكل الدّلالي الذي اعتمده غريماس، والتشاكل الدّلالي لا يكون على مستوى شكل التّعبير، وإنّما هو من حيّز المضمون أو البنية العميقة التي تضم المربّع السّيميائي والدّور العاملي[1].

وبالعودة إلى فان ديك في كتابه النّص والسّياق، فإنّه ربط الانسجام الدلالي بالعلاقات السببية بين القضايا، أو الروابط المنطقية، وترتيب الأحداث زمنيا، أو بحسب مقتضيات العملية التداولية للخطاب، ضف إلى ذلك الإحالات المرجعية[2]. وعموما فإنّ السّياق هو الذي يلعب دورا كبيرا في الانسجام الدّلالي للخطاب أو النّص، باعتبار النّص عنده بنية مجرّدة. وانسجام الخطاب في علاقته بالسّياق مرتبط بعملية التأويل، وكفاءة القارئ في الكشف عن تلاحم أجزاء النّص كبنية كلّية. والتأويل عنده يرتكز على جانب عرفاني، تشكّله الذّاكرة والمخيّلة والاستلزام العقلي التّداولي، والتّشجير الدّلالي أو السّيمانطيقي[3]. ويتوخاه السّامع للتبّع قصد المتكلّم في تتابع العناصر اللّغوية و تعالقها فيما بينها، وهذا التّعالق هو سرّ النّظم عند الجرجاني[4]. هذا وستتمّ العودة إلى بعض الإضافات في المحاضرات الموالية ذات الصّلة بقضية الترابط النّصي وانسجامه.

---

[1]- Frédéric Calas , Cohérence et discours, Collaboration de : Zouhour Messili-Ben Aziza, Hubert Tullon, Presses Paris Sorbonne, 2006, p111.

[2] – فان ديك ، النّص والسّياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، الدّار البيضاء، المغرب ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2000. ص 141 ، ص 142.

[3] – المرجع نفسه ، ص 147، ص 148.

[4] – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، مصدر سابق ، ص 413.

المحاضرة العاشرة

النّص فعل لغوي

تمهيد:

اللّغة نظام من الرّموز والإشارات، وهذه الإشارات والرّموز كغيرها العلامات السّيميائية تستعمل لتحقيق التّواصل البشري، تنطوي على دلالات لحظة استعمالها، وتختلف من لحظة إلى أخرى، ومن بيئة ثقافية إلى أخرى كذلك، ويستعان بها للتّعبير عن مواقف مختلفة ولذلك فاستعمالها يعدّ حدثا تواصليا، والكلام كاستعمال مخصوص للإشارات والرّموز اللّغوية في لحظة التّخاطب بكلّ ملابساتها وظروفها يعدّ فعلا لغويا، والنّص هو إنجاز لغوي متميّز كذلك بالدينامية والفرادة ينتج في ظروف خاصّة ، وخطاب موجّه من منتج إلى متلق يهدف إلى التأثير فيه.

أ- النّص فعل لغوي في التّراث العربي :

لم تكن أفعال اللّغة غائبة عن أذهان البلاغيين العرب القدامى، إذ نجدها في التّفكير البلاغي اللّغوي عند كثير منهم، كالجرجاني وابن سينا و الآمدي و السّكاكي، وفخر الدّين الرّازي والشّاطبي، وغيرهم ممن يشير إليهم مسعود صحراوي في كتابه التداولية عند العلماء العرب[1]. حين قسّموا الكلام ككلّ إلى نوعين؛ خبر وإنشاء، ثمّ قاموا بتفصيل كلّ منهما إلى أفعال أخرى.

[1] – مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي دار الطليعة ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2005 ، ص 58 وما يليها .

وإذا ما عاد القارئ العربي إلى تعريف القرآن الكريم، كما عرّف نفسه على نحو تداولي يكون فيه الخطاب حدثا لغويا أو النّص فعلا لغويا، في الزّمان والمكان وفعل القول أو التكلّم مبيّنين قطبي العملية التواصلية، والسّنن، وقيمة الفعل التأثيرية؛ يقول تعالى:﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (196)﴾[1]. فالتنزيل فعل أو حدث في الزّمان والمكان والمتلفّظ الحقيقي هو الله جلّ جلاله والمتلفظ المشارك* هو جبريل عليه السّلام كواسطة، والمتلقي الفعلي هو الرّسول عليه الصّلاة والسّلام (كاف المخاطب في: " قلبك") والمتلقي الضّمني وجميع المخلوقات العاقلة، باعتباره أخر الرسالات وإلى النّاس أجمعين إلى يوم الدّين، والسّنن هو اللّسان العربي، أمّا القيمة التأثيرية فهما الإنذار والهداية أيضا، لقوله جلّ شأنه: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (4)﴾[2].

وتنوّعت التّعريفات بزاوية النّظر فهو كلام الله المنزّل على سيدنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام، المتلو، المتعبّد بتلاوته المجموع بين دفتي المصحف، والمبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة النّاس أيضا، وهذا تعريف كذلك يحدّد الفعل ويحدّد الملفوظ وقيمته.

[1] – القرآن الكريم ، سورة الشّعراء ، الآيات 192– 196.

*– عند الغربيين نجد المتلفّظ المشارك أو الرّاوي (جهيّة الخطاب) يستعمل ضمير الغائب للإحالة على المتلفظ الحقيقي أو الفعلي، أمّا في النّص القرآني فالذات المتلفظة المشاركة تنقل الملفوظ بأمانة كاملة دون استعمال الإحالة. أنظر : دومينيك منغونو ، باتريك شارودو ، معجم تحليل الخطاب، مصدر سابق، ص 219 .

[2] – القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، الآيتان : 3/ 4.

بل إنّ الخطاب أو النّص كفعل لغوي أو حدث شكّل عصب التفكير التّداولي في البلاغة العربية، فالبلاغة العربية ـ كما سبقت الإشارة ـ نظرة إلى الخطاب لحظة التّخاطب، أي درست اللّغة بين الوضع والاستعمال، واعتنت بشكل لافت بجانبها الاستعمالي الأني وسياقات القول الدّاخلية والخارجية، فالقدامى من المفسرين المسلمين مثلا قد اعتنوا بمناسبة أو أسباب نزول الآيات لفهمها، إدراكا منهم قيمة المكان والزّمان والإحالات المرجعية التي يشير إليها القرآن الكريم[1]، واعتنوا أيضا بقرائن المعنى، اللّغوية والعقلية والحالية والعوائدية (العادة) إلخ[2] .

هذا، ويمكن العودة إلى بعض الكتب من أجل تفصيل أوسع لكتاب نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب لطالب سيد هاشم الطبطبائي وكتاب محمد محمد يونس علي: علم التّخاطب الإسلامي، دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النّص. وكتاب التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي، وغيرها من المؤلفات والبحوث الاكاديمية المتخصصة.

ب – الخطاب كممارسة اجتماعية في اللسانيات المعاصرة :

تمت الإشارة آنفا إلى علاقة النصوص أو الخطابات بالكتابة، وأهمية الكتابة في الحضارات الإنسانية، وكذلك في المجتمعات قديما وحديثا، فمنظومة الحكم بكلّ دوائرها وأجهزتها تتعامل مع الأفراد أو مع المجموعات المنتمية إلى الحقل الاجتماعي أو يشغلون

[1] – محمد محمد يونس علي ، علم التخاطب الإسلامي ، دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النّص ، مرجع سابق ، ص 87، ص88.

[2] – محمود عكاشة، حليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة: دراسة تطبيقية لأساليب التأثير و الإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم ، دار النّشر للجامعات ، القاهرة ، مصر، ط1 ، 2013 ، ص 31.

وظائف في مختلف دوائر الدّولة ومؤسّساتها عبر النّصوص، هذه النّصوص تحمل خطاب الدّولة وهيمنتها وسلطتها على الأفراد، ابتداء بوجود دستور، ومنظومة قوانين تشريعية منظمة للعلاقات السّياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والفكرية والدّينية. وكلّ هذه الخطابات موثّقة بالكتابة، وتوزّع كنصوص على كلّ المتعاملين أو المرسل إليه تحمل قيمة تأثيرية نفعية في شكل أوامر أو نواهي ، تكون فيها اللّغة ذات طبيعة إلزامية ، يترتب عنها تطبيق فعلي تتجلّى في السّلوكات الاجتماعية والفردية في الحياة اليومية .أو قد تكون ضامنة لهذه العلاقات كالعقود والمواثيق[1].

والخطابات كممارسات اجتماعية لا يقصد بها انعكاس الواقع الاجتماعي على المستوى اللّغوي فحسب، بل يكمن في سلسلة انتاج الخطابات أو تحويلها، أو إعادة انتاجها، ومن هذا المنظور طرحت مسألة أسبقية الكلام عن اللّغة أو اللّغة عن الكلام ومادام الكلام هو إعادة انتاج اللغة بمواضاعاتها، فإنّه بذلك يعيد انتاج مجموعة المفاهيم والتّصورات التي ينطوي عليها اللّسان، ويعيد انتاج التشكيلات الخطابية، والمرجعيات الفكرية والثقافية التي تتبناها كل مجموعة بشرية أو أي حقل اجتماعي. التي تظهر في شكل علامات سيميائية، أو منطوقات إيديولوجية،[2]. والخطابات ممارسة لغوية أي فعل لغوي من حيث إنّها توطّد العلاقات الاجتماعية، فالمجتمعات والأفراد لا يمكن أن يعيشوا إلاّ بالخطاب وفي رحابه، وكلّ خطاب موجّه نحو الآخر يستهدف التأثير فيه، أو يحدث أثرا جديد في وعيه أو في سلوكه[3].

[1] – باتريك شارودو ، دومينيك منغونو ، معجم تحليل الخطاب ، مصدر سابق ، ص 453 ، ص 454.

[2] – دومينيك منغونو ، باتريك شرودو ، معجم تحليل الخطاب ، مصدر سابق ، ص 446.

[3] – المصدر نفسه ، ص 44.

فالعلامة عند سوسير المشكلة من ثنائية الدّال والمدّلول ـ ذات العلاقة الاعتباطية ـ لا يمكن أن تحقق التّواصل اللغوي إلاّ في ضل المواضعات والاتفاق الجمعي حول السّنن وبالتّالي فإنّ الكلام هو إعادة انتاج لهذه العلامات السّيميائية المتواضع عليها ، من وجهة نظر بيير بورديو[1].

ج- النّص فعل لغوي أو أثر:

إذا كانت النّصوص الشّفوية تمثّل تجلّ صريح للخطاب باعتباره استعمالا للّغة شفويا في لحظة تاريخية معيّنة، وموقف اجتماعي ما، فإنّ النّص المكتوب هو استعمال خاص للّغة ينبثق في مقام اجتماعي معين وسياق تاريخي وثقافي ما، ومعبّر عن رؤية أو حالة وجدانية أو فكرة مخصوصة، أو حامل لقصدية صاحبه، فإنّه يمثّل اثرا مستمرا يمتلك خاصّية الديمومة.

صحيح أنّ التفكيكين بمقولة الأثر قد تجاوزوا فكرة القصدية ، وإرادة المؤلّف، وتبنّوا فكرة تداخل النّصوص أو التّناص، وترحال الكلمات من نصّ لآخر، أو ربّما إعادة انتاج نصوص سابقة في نص جديد، وهذا التّرحال لا يخلّصها من تكوينها الأصلي أو حمولتها الثقافية والفكرية والاجتماعية، بقدر ما تحتفظ بكثير من الشّوائب، ولذلك تنكّروا لقصدية المؤلّف واستنكروا فكرة نقاء النّص، وبالتّالي ألغوا فكرة أحادية المعنى، ومن هنا فتحوا النّص على دلالات متعدّدة ومختلفة[2]، لكن في الوقت نفسه يبقى النّص أثرا عن صاحبه يقوله بعد

[1] -Pierre Bourdieu, Ce que parler veu dire, L'économie des échanges linguistiques ,Fayard , paris 1982, p 14, p15.

[2] - حمد عبد الحليم عطية، جاك دريدا والتفكيك، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2010، ص 109.

موته، إنّ مقولة الأثر ليست ذات منزع لساني فحسب، بل هي تحمل رؤية فلسفية للحياة، فالأثر هو النّزوع نحو الخلود بعد الموت[1].

إنّ النّص هو تحقق النّصية التي لا يمكن للنّص أن يكون دونها، وتحقّق النّصية لا تعني أبدا بنيته التركيبية ولا بنيته، فإنّ ذلك لا يجعل الامر محسوما، وإنّما في الاستعصاء والتّحجب، والطمس الذي يمنح للنّص الاستمرارية وانفتاح الدلالة وإرجاء المعنى[2].

فإذا كانت مقولة الأثر تلغي إرادة الذات وقصديتها، فإنّ إحداث الأثر هو نفسه فعل ، وما دام هذا الأثر ذا طبيعة لغوية، فهو بذلك فعل لغوي، كما أنّه في الوقت نفسه يشي بأثر الآخرين في الذّات، أو أثر النّصوص الأخرى في تشكيل هويّة النّص الجديد ، هذا التّصور اقرب ما يكون إلى تصوّر بيير بورديو في التّبادل بين اللّغة والوضع الاقتصادي والثقافي الذي يعيش فيه الأفراد، ويفرض عليه التّبادل اللّغوي بكلّ حمولاته الإيديولوجية والاجتماعية والاقتصادية[3]. ذلك أن كلّ نص أو خطاب في حقيقة الأمر منبثق من مرجعية ، فالنّص هو بنية جزئية من بنية أشمل للخطاب تتجاوز الملفوظ أو المكتوب إلى مرجعياته يعيد انتاجها داخله[4] .

---

[1] – محمد شوقي الزين ، جاك دريدا ما الآن؟ ماذا عن غد؟، منشورات الاختلاف، الجزائر ، دار الفارابي، بيروت، لبنان ط1 ، 2011، ص133

[2] – المرجع نفسه ، ص 85.

[3]- Pierre Bourdieu, Ce que parler veu dire, L’économie des échanges linguistiques, op-cit , p15.

[4] – محمّد محمّد يونس علي، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى ، نحو بناء نظرية المسالك والغايات، مرجع سابق،ص 23.

د- النّص فعل لغوي وتداولية الخطاب:

يعدّ المنهج التداولي اقرب المناهج غلى تحليل الخطاب، غير أنّ هذا الأخير أوسع وأشمل، يجعل من التداولية إحدى مناهج تحليل الخطاب ومقاربته، فالتداولية كتفكير بلاغي أو ألسني ركّزت على فعل التّلفظ والملفوظ والسّياق والمقام ككلّ.

ومن أبرز اهتمامات التفكير التّداولي في بلاغته ودرسه اللّساني موضوع أفعال اللّغة أو أفعال الكلام، ولذلك اعتبرت كل خطاب فعلا لغويا أو إنجازا أو حدثا. فهو فعل من حيث تجسيده شفاهيا أو كتابيا، هو حدث لأنّه ذو طابع آني، وفي موقف أو مقام معيّن، و إنجاز كذلك باعتبار أنّه تعبير عن الفكر والمشاعر والأحاسيس والتّصورات باللّغة، و ممارسة اللّغة على نحو ما، وهو إقامة للتّواصل بين المخاطب والمخاطَب، وهو كذلك فعل باعتباره حاملا لقصد ما، ومبني وفق استراتيجية معيّنة، تستهدف التأثير في الآخر، فهو أنجاز لغوي وحدث اجتماعي تواصلي[1].

وبالعودة إلى تعريف إميل بنفنيست للخطاب: هو كل ملفوظ يتّجه به المتلفظ إلى آخر بنيّة التأثير فيه."[2]، فهو يعتبر الملفوظ ناتج فعل التلفّظ، وهو فعل مقصود وهادف في الوقت نفسه. إذ يرى بنفنيست أنّ الملفوظ هو في ذاته حدث ناتج عن التّلفظ قبل أن يكون وسيلة

[1]- Nicolas Zay, Dictionnaire-manuel de gérontologie sociale, Presses Université Laval, Québec, Canada, 1981, P307.

[2] - Emile Benveniste, problème de l'inguistique générale,op-cit, p 242.

أو أداة لإنجاز التّواصل والتّبليغ[1]. وعلى هذا النّحو يعدّ إيميل بنفنيست بهذا التّعريف الممهّد الأول للتّصور التّداولي للخطاب، إذ يأخذ يركّز على التّخاطب[2].

إنّ التّصور التّداولي ـ إن جاز الحكم القيمي ـ أكثر التّصورات اللّسانية التي تجعل من النّص حدثا حيث:" يتجسّد النّص في مادّة منطوقة، أو مكتوبة، كبيرة مثل؛ رواية مسرحية، مجلّد، أو صغيرة مثل؛ جملة أو شبه جملة، كقوله: اليوم خمر وغدا أمر أو عبارة ؛ للبيع ،،، أو كلمة، مثل؛ مغلق أو مفتوح، أي كلّ لفظ يتلفّظ به بنيّة الإتّصال."[3].

فالقول السّابق لا يأخذ النّص بالحجم، وإنّما ينظر إليه من زاوية وظيفية، إذ كلّ نصّ يضطلع بوظيفة تحقيق الاتّصال، وبذلك هو فعل الاتّصال. بل إنّ بعضهم حاول التّفريق بين الملفوظ والخطاب على أساس وظيفي، فالملفوظ يطلق على الهيكل اللّساني للنّص، أمّا الخطاب من حيث سياقاته الخارجية أو ظروف إنتاجه وكفعل تواصلي ذي طبيعة سيميائية[4]. بل إنّ وظائف اللّغة التي تحدّث عنها رومان جاكوبسون هي نتاج العملية التّواصلية واستعمالات اللّغة لأغراض شتّى أثناء العملية التّخاطبية أو التواصلية. فهي وإن كانت تبرز

[1] - Guy Serbat, Jean Taillardat, Gilbert Lazard ,et autres, E. Benveniste aujourd'hui: Exposés d'ouverture , actes du colloque international du C.N.R.S., Université François Rabelais, Tours, 28-30 septembre 1983, Volume 1, Peeters Publishers, louvain , paris, 1984, p 47.

[2] – باتريك شارودو ، دومينيك منغونو ، معجم تحليل الخطاب ،مرجع سابق، ص 237.

[3] – جميل عبد الحميد ، علم النّص ، أسسه المعرفية وتحلّياته النقدية ،[دراسة] ، مجلة عالم الفكر، العدد 2، أكتوبر – ديسمبر . 2003 ،المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ص 141.

[4]– عبد الرحمان عبد السلام محمود ، النص والخطاب: من الإشارة إلى الميديا – مقاربة في فلسفة المصطلح، مرجع سابق ص 115.

وظيفة للّغة في العملية التواصلية، فهي ـ في الوقت نفسه ـ ليست سوى إنجازا أو فعلا لغويا على نحو ما. فالوظيفة الشّعرية أو الأدبية هي التي تجعل من النّص منجزا لغويا أدبيا.

وكلّ ملفوظ لغوي هو إما تعبير عن اعتقاد من النّاحية الفكرية، أو وصف، أو إخبار وسرد أو إشعار، أو طلب، أو إبلاغ، أو إعلام، أو إشهار، أو عقد، أو شرح، أو إفهام، تبيه ،،،، ،،،، إلى غير ذلك من الأفعال الكلامية، أو ما يسميه فان ديك التداولية الكبرى، أي كيف يكون الملفوظ أو النّص ككلّ فعلا لغويا، ينطوي على أفعال كلامية جزئية، ولا يكون كل تلفّظ فعلا إلى إذا كان يحمل قصدية معيّنة، ويندرج ضمن الأفعال الاجتماعية (محاضرة ، بلاغ، نشرة جوية، وصفة طبية، خطاب سياسي، عقد بيع أو زواج،،،رواية). تستهدف تغيير وضعية ،مرتبطة بموقف ما أو مقام معيّن يجمع بين المتكلّم والسّامع[1].

لقد كان تحرير هذه المحاضرة كتابيا، وتقديمها شكل من أشكال أفعال اللّغة، حيث أصبحت هذه المحاضرة فعلا إنجازيا، تستهدف تقديم إضافة علمية، تندرج ضمن أفعال اجتماعية أوسع هو المحاضرات العلمية الاكاديمية في الجامعة.

[1] – فان ديك ، النّص والسّياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي ، مرجع سابق ، ص267.

المحاضرة الحادية عشرة

مقاييس النّصية

تمهيد :

قبل الخوض في تتبّع أهم معايير النصية في لسانيات النّص المعاصرة حري بنا أن نعود إلى النحو والبلاغة العربيين لاستخلاص بعض ملامح التفكير اللّساني المتعلّق بالنّص

أ- شروط نصّية النّص في التفكير اللّساني العربي :

نبّه التفكير اللّساني إلى ضرورة توفّر جملة من الشّروط التي تحقّق للكلام أو النّص تماسكه في شكل بناء كلّي، فالإسلام ككلّ رسالة متكاملة، والكون هو أيضا في نظر الإسلام خلق متكامل، والإنسان جسدا وروحا متناسق متعاضد، والمجتمع أيضا بنيان مرصوص والكلام لا يخرج في التفكير اللّساني العربي المنبثق من الدّرس القرآني والوحي الإلهي عن هذه النّظرة الكلّية المتناسقة المترابطة. ومن بين الشّروط نذكر:

1 – الوضوح والبيان أو الاعلامية:

فاشترطوا في النّص الوضوح البيان عن المقاصد، وهذا لا الشّرط لا يقصدون به الابتعاد عن المجاز، وإنّما الإغراب في الفكرة والإغراب في الكلام، لا يكون بين عناصره ما يحدث الخلل ولا ما يحصل عنه الملل، ولذلك تجدهم يتحرزون عن الإيجاز المخل والإطناب

الملّ، ويدعون إلى المساواة دون تقصير[1]، فالقرآن الكريم كخطاب إلهي للبشر نزل بلسان عربي مبين. ولأهميّة البيان والوضوح ألّف الجاحظ كتابا عزيزا أسماه: البيان والتّبيين.

ولأهمّية الوضوح والبيان أخرجوا كلام النّائم وكلام المجنون والصّبي، ليس لأنّه يفتقد القصدية فحسب ، بل لأنّه في أغلب الأحوال هو كلام غير معقول.

2 – المقامية:

إنّ العملية التّواصلية هي حدث من الأحداث الاجتماعية الكلّية، وهي تتّخذ لها مكانا في شتّى المواقف، ولذلك اشترطت البلاغة العربية من أجل نجاعة العملية التّواصلية مراعاة مقتضى الحال، والمقام، وإذا كان مقتضى الحال يعني الإدراك الذّهني للمستمع، وحالته النّفسية، فإنّ المقام أوسع، ويقصد به مراعاة الطبقات الاجتماعية والتأدب، وخير مثال على ذلك قول بشر بن المعتمر: " فينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما، ولكلّ حالة من ذلك مقاما"[2]، وفي بعض الأحيان يتجاوزه إلى الظروف المحيطة التي ينشأ فيها الخطاب، من مكان وزمان من حيث السّعة والملاءمة. فقيل : لكلّ مقام مقال "[3] ،فهو بذلك

[1] – سامية بن يامنة ، الاتصال اللساني وآلياته التداولية في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2012، ص 173.

[2] – نقلا عن : سامية بن يامنة ، الاتصال اللساني وآلياته التداولية في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، مرجع سابق ، ص 53.

[3] – المرجع نفسه ، ص 34.

في علاقة شرطية بشرط الإطناب والإيجاز وما يترتّب عن ذلك في الكلام من تلميح وتضمين وإضمار[1].

فالمقامية هي شرط الرّسالة أو النّص في العملية التّواصلية والتّداولية، ذلك أنّ المتكلّم إنّما يستهدف السّامع ، وعليه أن يراعي حاله ومقامه، في ترتيب أجزاء قوله وتبليغ مراده.

3 – السّبك والحبك

من النّاحية النّحوية، ونقصد نحو النّص، اشترط النّحويون العرب وبلاغييهم معيار السّبك والحبك، أو التّأليف والنّظم، والتنضيد والتّضام، وانطلقوا أولا من نظرتهم للقرآن الكريم كنّص واحد ـ كما سبقت الإشارة، فربطوا بين آييه وسوره في تفسيره، جاعلين من الكلمة أو الآية في موضع ما قرينة سياقية تفسّر غيرها في موضع آخر أو تفصّل مجملا واستخلصوا منه شروط الملاءمة والمناسبة[2].

4 – المقبولية :

نبّه إلى هذا المعيار سيبويه ضمن شروط الاستقامة، ويقصد به أن يكون الكلام سليما من حيث بنيته اللّغوية، وسليما من حيث مطابقته للواقع أو للعقل، غير أنّه ركّز على استقامة الدّلالة، فهي مناط العملية بين المتكلّم وسامعه ، فإنّ الشّعراء قد يجوز لهم ما

[1] – المرجع نفسه 173.

*– ملاحظة اعتمدنا في المراجع على هذا الكتاب لأنه دراسة لسانية لأحد أهمّ مصنّفات البلاغة العربية وهو كتاب الصناعتين لأبي الهلال العسكري.

[2] - مسعود بودوخة، لأسلوبية و البلاغة العربية مقاربة جمالية، مركز الكتاب الأكاديمي ، عمّان ، الأردن ، ط1، 2017 ص 224.

لا يجوز لغيرهم في تصريف البنى التّركيبية ليستقيم الوزن[1]. وقد ربط الجرجاني المقبولية بضرورة توخي احكام النّحو ومناهجه ومقتضياته[2].

5 – القصدية :

تمت الإشارة إليها سابقا في معرض الحديث عن الوضوح والبيان، والقصدية عندهم حضور النية عند المتكلم، وحضور الإرادة والوعي، ولذلك أخرجوا من الخطاب الكلام النفسي، وكلام النائم والمجنون والصبي غير العاقل، وهي عندهم مرامي النّص كذلك ، ولذلك اشترطوا في الكلام إفادة المعنى ، [3].

يمكننا هنا ان نشير إلى اهمية القصدية بتلك الانعطافة التي أحدثها عمر بن الخطاب في التّراث الاسلامي، حيث احتكم إلى المقصد في قضيّة توزيع غنائم الفتوحات ، وتجاوز النّص المحكم (النّص هنا بمعنى الآيات المحكمة عند الشّافعي)[4].والقصدية بقدر ما هي مرتبطة بنية المتكلّم، بالقدر الذي تتعلّق بفهم السّامع لمراد المتكلّم.

ب– معايير نصّية النّص في لسانيات النّص المعاصرة :

[1] – عمر أبو ريشة، ترابطات التركيب و الدّلالة في النحو العربي: نماذج تحليلية من الكتاب، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان ، الأردن، ط1، 2020.ص 47.

[2] – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تعليق : محمود محمد شاكر ، مصدر سابق ، ص393.

[3]– عبد الرحمان الحاج صالح ، الخطاب والتّخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، ط1، 2012، ص16.

[4] – شريف راشد الصدفي، مَفْهومُ النَّصِ عِنْدَ عُمَرَ بنِ الخَطَّاب: أَحْكام: الفَتْح – الغَنِيمَة – الفَيء، إي– كتب ، لندن ، ط1 ، 2016 ، ص 133

إنّ السرّ في الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النّص أو لسانيات الخطاب هو التّفطّن إلى العلاقة بين عناصر النّص التي تشكّل على نحو ما بنية كلّية هي بنية النّص وهذه العلاقة الشّكلية والدّلالية بين عناصر الرّسالة هي التي أوعزت إلى بعض الدّارسين تسمية لسانيات النّص بـ : " نحو النّص " ومن ثمّ أخذت لسانيات النّص البحث عن معايير نصّية النّص. ولا بأس هنا أن نستعين بكتاب مدخل إلى علم اللّغة النّص لروبرت ديبوغراند وآخرون، الكتاب الذي جمع أهمّ معايير نصّية النّص:

1 – الاتساق cohésion:

لعلّ جل التعاريف المعاصرة للنّص قد ركّزت على فكرة التّرابط اللّفظي والمعنوي أو الدّلالي للنّص. حيث تكون الوقائع اللّغوية في تضامّ بحيث يؤدي السّابق إلى اللاّحق ويسمح اللاحق باستذكار السّابق في الوقت نفسه. كتكرار الاسماء والأفعال، أو تكرار المحتوى عبر إعادة الصياغة للعبارات، والعطف، والعائد أو الضمير للإحالة القبلية والبعدية[1].

يقول المتنبي[2] :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرّمح والقرطاس والقلم.

[1] – روبرت ديبوغراند وفولغانغ دريسلر وآخرون ، مدخل إلى علم اللّغة النّص، مطبعة دار الكاتب، القاهرة ، مصر ط1 1993، ص72.

[2] – . أبو الطيب أحمد بن الحسين (المتنبي)، ديوان المتنبي،ج3 ، دار صادر، بيروت، ، لبنان ،ط3 ، 2003 ،ص 213.

إنّ في هذا البيت مثلا يلعب حرف العطف (الواو) دورا هامّا في ربط جمل النّص، كما يعمل المسند كذلك (تعرف) هذا الدّور، فحرف الواو لم يربط بين الأسماء، وإنّما بين جمل فالأصل:

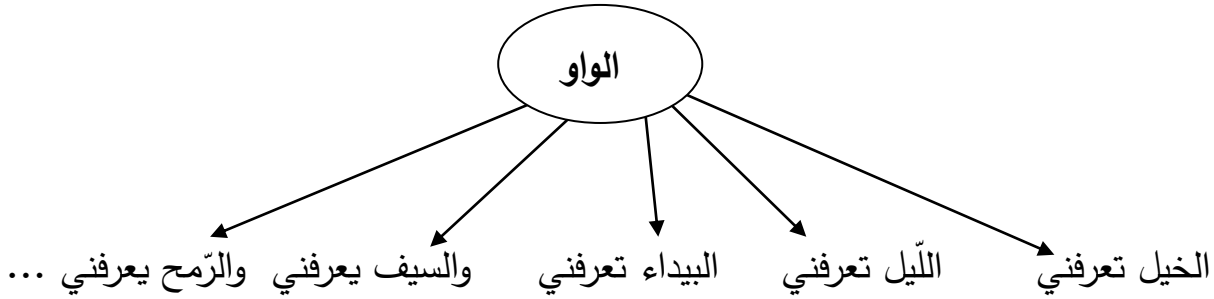

وهنا يحدث في ذاكرة المتلقي تكرارا على مستوى الحافظة أو الذاكرة للمسند تعرفني، رغم أنّه قد ذكر مرّة واحدة .وذا التكّرار الضمني هو الأخر يساعد على الاتساق بين عناصر النّص.

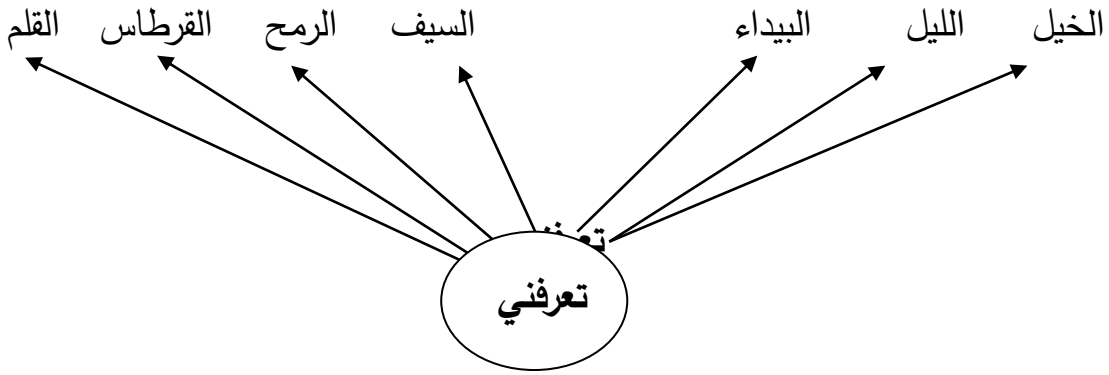

ثم يصبح العائد (ياك المتكلّم) الذي يحيل على ضمير المتكلّم أنا هو بؤرة النّص فالأصل أنا تعرفني الخيل ، أنا يعرفني الليل ،،،،،،.

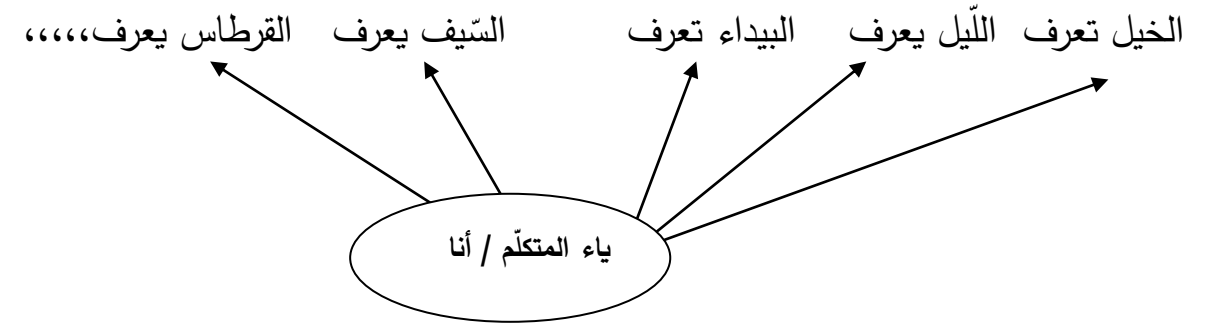

ياء المتكلم/ أنا

على هذا النّحو تكون الضمائر. والتّكرارات الضّمنية أو الصّريحة، وحروف العطف والأفعال والاسماء، والاستدراك، و الاستبدالات، وقائع لغوية تسهم في ترابط النّص، وتساعد ذاكرة السّامع ربط اللاحق بالسابق أو تسمح باستعادة السابق في الوقت نفسه، أو باستشرافه أيضا أذا كان من جنس الواقعة اللّغوية كحاجة المسند إليه إلى مسند في الشّطر الثّاني من البيت الذي يربطه القارئ بالواقعة اللّغوية البيداء تعرفني.

2 –الانسجام cohérence:

الانسجام أحد المباحث الدّلالية في الخطاب إضافة غلى الاتساق والبنية الكلّية، في حين تكون السّياقات وتداوليات الخطاب وأفعال الكلام هي مباحث في الجانب التّداولي. على النّحو الذي قدّمه فان ديك في كتابه النّص والسّياق الذي قسمه إلى جانب دلالي وآخر تداولي. حيث اضاف عنوانا فرعيا : استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي.

وهو يفرّق بين منهج دراسة الجملة وبين دراسة الخطاب من هذا الجانب[1]. وهو يرى أنّ الاتساق النّصي لا يكون فقط في الرّبط بين الجمل على مستوى البني الصغرى، بل ثمّة ترابط بين البنى (الجمل) الصغرى والبنية الكبرى النّص (موضوع الخطاب المتداول)

[1] - Van Dijk, Some Aspects of Text Grammars [compte-rendu] Pratiques : linguistique, littérature, didactique, n°11-12, 1976. Récit 1, Crem/Université de Lorraine, France, p201.

أو العلاقة بين البنية السّطحية الممثلة في الجمل أو التّراكيب، والبنية العميقة التي تشكّل فحوى الخطاب، على النّحو الذي وضّحه غريماس على سبيل المثال[1].

فالعلاقة بين الجمل وموضوع الخطاب تضمن الانسجام الدّلالي الذي يسمح للقارئ تلخيص الموضوع أو تحديد الفكرة الرئيسة للكلام، فالجمل كلّها تحمل دلالة ضمنية للجملة النواة المشكلة من مسند ومسند إليه، أو موضوع الخطاب[2]. وحتى في وجود الاستدراك الذي يفترض أن يكون فاصلا بين القضايا فهو في الحقيقة يربط القضايا الفرعية بالقضية الكبرى أو المتوالية[3]. ويبدو فان ديك هنا يعتمد على الدّائرة الفيلولوجية، حيث العلاقة بين الجزء والكل في فهم النّص. إذ أنّه لا يمكن ربط علاقات بين القضايا الجزئية إلاّ في ضلّ القضية الكبرى، ولا يمكن الوصول إلى القضيّة الكبرى إلاّ بفضل تلاحم القضايا الصّغرى.

إنّ الانسجام الدّلالي ليس معطى كما هو الحال في الاتساق اللّفظي، أنّه مناط بحث متلقي الخطاب لدى استقباله رسالة المتكلّم، ليس ثمّة نص منسجم وآخر غير منسجم، بل هناك عملية تأويل وفهم، أو استجابة لدى المتلقي، أذن ليس هناك انسجاما في الخطاب بالقدر الذي يشكّل التأويل انسجاما دلاليا للخطاب عند كلّ من براون ويول[4].

3– الإعلامية:

[1] -Van Dijk, Some Aspects of Text Grammars [compte-rendu] Pratiques : linguistique, littérature, didactique, n°11-12, 1976. Récit 1, op-cit, p 202.

[2] – فان ديك ، النّص والسّياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي ، مصدر سابق، ص 190.

[3] – المصدر نفسه، ص 195.

[4] - Goerge Yule, Gillian Brown, Discours analysis, Cambridge University Press, Cambridge , New-York , New Rochelle , Melbourne, Sydny, 1983, p 224.

تعني الإعلامية في هذا المقام ما تحمله الرّسالة إلى المتلقي من معلومات جديدة أو معلومات متوقعة، غير أنّ قيمة الرّسالة تزداد كلّما كان الخطاب إلى الآخر يحمل إلى وعي المتلقي إضافة جديدة، أو يحدث فيه تأثيرا بمعارف أو معلومات غير متوقعة. وتتوقف هذه الخاصية على الحالة الإدراكية للمتلقي[1]. وكما تتوقف الإعلامية على جانب فحوى الخطاب، فهي كذلك لها نصيب من شكل الخطاب.

وقد تكون الإعلامية محدّدة في الجانب الصّوتي من خلال انخفاض الصوت وارتفاعه أثناء توجيه الرّسالة، وعليه فإنّ المتلقي يجب أن ينتبه للمؤشّرات الصوتية عند الآداء[2]، فهي قد تلعب دور مؤوّل يسمح له بتأويل النّص على نحو ما، يكشف له عن فحوى جديد، سيّما في السّخرية، أو الخطابات الانفعالية[3].

والحديث عن علاقة الإعلامية بالأداء الّصوتي يفرض ربطها أيضا بالسّياق الفعلي. وكذلك بسياق التّلقي، فإذا كانت عملية التّلقي مفتوحة ، فإنّ مستوى الإعلامية قد يرتفع أو ينخفض، بالقدر الذي يحدثه النّص من خرق لأفق التّوقع، سواء من النّاحية الأسلوبية أو من ناحية فحوى الخطاب ومضمونه[4].

4-الموقفية:

[1] – روبرت ديبوغراند وفولغانغ دريسلر وآخرون ، مدخل إلى علم اللّغة النّص، مرجع سابق ، ص 187.

[2] – المرجع نفسه ، ص 190.

[3] – عادل مصطفي ، فهم الفهم ، مدخل إلى الهرمينوطيقا ، نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامر، رؤية للنشر والتّوزيع القاهرة ، مصر، ط1 ، 2007، ص 36.

[4] – روبرت ديبوغراند وفولغانغ دريسلر وآخرون ، مدخل إلى علم اللّغة النّص، مرجع سابق، ص 197.

عرفت البلاغة العربية معيار الموقفية بعبارة شهيرة هي لكلّ مقام مقال، ولذلك فالموقفية هي مناسبة الكلام للمقام أو للمناسبة أو الموقف[1]. فكثيرا من الأحيان يتمّ سرد أخبار في مواقف لا تمتّ بصلة للموقف الحالي، كأن يوضع المثل في غير موضعه، باعتباره استرجاع لموقف يفترض أن يكون مشابها. كما على المتكلّم أن يراعي أذهان المستمعين فلا يمكن توجيه محاضرة تعجّ بالمصطلحات المتخصصة لأطفال في مرحلة الإعدادية مثلا أو استعمال لغة أجنبية أمام أشخاص لم ينالوا قسطا من التّعليم، كما على المتكلّم أن يراعي مشاعر النّاس في الحياة الاجتماعية والثقافية سيما في مناسباتهم كالأفراح أو الحزن.

غير أنّ الموقفية قد تكون ناتجة عن عملية رصد في النّص أي ليست نتيجة معرفة مسبقة بالعالم، ولنأخذ مثلا قصيدة المتنبي واحرّ قلباه، التي تكشف من مطلعها عن موقف تفجّع وشكوى، ثم يرصد القارئ أو المستمع معالم الموقف، في ذكر الخصومة، وذكر الوشاة إذ يقول المتنبي:

واحرّ قلباه ممن بقلبه شبم ومن بجسمي وحالي عند سقم

يا أعدَلَ النّاسِ إلاّ في مُعامَلَتي فيكَ الخِصامُ وَأنتَ الخصْمُ وَالحكَمُ

إنْ كانَ سَرّكُمُ ما قالَ حاسِدُنَا فَمَا لجُرْحٍ إذا أرْضاكُمُ ألَمُ[2]

فهذه الأبيات وردت متباعدة عن بعضها البعض في القصيدة، وهي تكشف عن موقف أو سياق القول.

[1] – بهاء الدين محمد مزيد، ، تبسيط التداولية ، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي ،شمس للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2010، ص 98.

[2]– أبو الطيب أحمد بن الحسين (المتنبي)، ديوان المتنبي،ج3 ، دار صادر، بيروت، ط3، 2003 ، ص 212..

والموقفية كذلك تحتاج من المتلقي رصد الإشارات المصاحبة للخطاب اللّغوي، كعلامات سيميائية مصاحبة من شأنها أن تكشف عن الموقف، فكما تلعب نبرة الصوت في الإعلامية دورا في كشف القيمة التبليغية، تلعب أيضا بدورا هي الأخرى في تحديد طبيعة الموقف وعن طريق الاستدلال العقلي بربط العلامات المصاحبة بالخطاب اللغوي يمكن رصد الموقف الجاد من موقف السّخرية مثلا، ولذلك ينبّه ديبوغراند غلى ضرورة فرز الايماءات المهمّة المصاحبة من الاشارات التي لا تحمل معنى[1].

5- التناصية أو النّصوصية:

غالبا ما يستعمل مصطلح التّناصية، وهو مصطلح يعني التفاعل العام لنصّ معيّن مع النّصوص الأخرى الموازية أو السّابقة، سواء بالأسلوب أو المعارضة أو التّضمين أو الاقتباس أو الاستشهاد أو السّرقات الأدبية، التلخيص، والتعقيب والشرح ،،، إلخ، أي كل ما يجعل نّصا ما في علاقة بنص آخر، أو بمجموعة من النّصوص.

وقد سبقت الإشارة إلى أنّ المبدع لا يمكنه أن يتخلّص من تأثير الآخرين، فليس ثمّة إبداع بشري من العدم، بل ثمّة تحويل لأفكار ومقروء ترسّب في الذّاكرة ، يشكّل بذلك ملكة يتّم التوليد أو تحويلها إلى نصّ جديد. فكلّ نص هو عبارة عن فسيفساء من الشواهد، وأنّ كل نص هو تشرب لنص آخر وتحويل له، يقول باختين:" آدم هو الوحيد الذي كان يستطيع أن يتجنب تماما إعادة التوجيه المتبادلة هذه فيما يخص خطاب الآخر الذي يقع في الطريق

[1] – روبرت ديبوغراند و فولغانغ دريسلر وآخرون ، مدخل إلى علم اللّغة النّص، مرجع سابق، ص 210.

إلى موضوعه، لأنّ آدم كان يقارب عالما يتّسم بالعذرية ولم يكن قد تُكلّم فيه وانتهك بواسطة الخطاب الأول."[1].

وإذا كان التناص هو إعادة انتاج، يدخل ضمن انتاجية النّص لدى المبدع، فهو كفاءة معرفية لدى القارئ يلج بها عالم النّص عند ميشال ريفاتير، يغدو مؤولا يستعين به القارئ في فك شفرات الخطاب[2].

6- القصدية:

يقصد به نية المنتج أثناء توجيهه الخطاب نحو الآخر، وعلى ضوء هذه القصدية يوزّع الوحدات اللّغوية، وليس هذا فحسب بل تعني أيضا الأهداف المتوخى تحقيقها في الخطاب أو به كفعل لغوي، كالتوضيح أو التّعقيب، أو إحداث أثر معيّن في المخاطب[3].

في الحديث عن القصدية يجب على المتلقي أن يدرك بأنّ المتكلّم قد أراد بكلامه على النّحو الذي صاغه أمرا ما، وهو يعي ترتيب عناصر واجزاء الكلام تأليفا واستبدالا

[1] – تزفيطان تودوروف ، ميخائيل باختين : المبدأ الحواري ، تر: فخري صالح ، رؤية للنّشر والتّوزيع ، القاهرة ، مصر ط1 ، 2012، ، ص 161.

[2] – ميكائيل ريفاتير ، معايير التّحليل الأسلوبي ، ترجمة وتعليق : حميد لحميداني ، منشورات دراسات سال (دراسات سيميائية أدبية لسانية) دار النّجاح الجديدة ، البيضاء ، ط1 ، 1993، ص 48.

[3]–روبرت ديبوغراند و فولغانغ دريسلر وآخرون ، مدخل إلى علم اللّغة النّص، مرجع سابق، ص158.

فلو استعمل المتكلّم تشبيها معيّنا، فيجب على المتلقي (السامع/ القارئ) أن يعي بأنّ المخاطب قد تعمّد ذلك[1].

وإذا كان ذلك في الحديث اليومي، فإنّ الأدبي غالبا ما هو خطاب فيه تلميح بالقصد لا تصريح، وبالقدر الذي يكشف المؤلّف عن نواياه، بالقدر الذي يتوارى، ولعلّ الخطاب القصصي والرّوائي أكثر النّصوص التي تتوارى فيها شخصية المؤلّف بالمقارنة مع النّصوص الشّعرية ذات الطابع الغنائي، لاسيما في ظلّ فكرة موت المؤلّف التي تبنتها البنيوية، حيث يقول بارت: " أن النّص ليصنع من الآن فصاعدا، ويقرأ بطريقة تجعل من المؤلّف غائبا على كل المستويات."[2].

7 – المقبولية أو التقبّلية :

يعني معيار المقبولية هو استجابة القارئ للنّص وتقبّله لوقائعه، والتي يفترض أن تحقق له أهدافا معيّنة كتنمية وعيه عبر إضافة إعلامية أو تبليغية، أو بأسلوبه، أو الاشتراك في الميول والرّغبات، واحترام الثقافة والعادات والتقاليد أو مدى رعايته للموقف، وتقديره للأوضاع كالتأدّب في المجالس والمناسبات، القدرة على التّصوير والوصف والتّشويق ،،إلخ[3].

---

[1] – عمر أوكان، اللّغة والخطاب، منشورات رؤية للنّشر والتّوزيع، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2011، ص 147 ص 148..

[2] – تزفيتان تودوروف ، الشعرية ، ترجمة : رجاء بن سلامة وشكري المبخوت ، دار توبقال للنّشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب، ط1 ، 1990، ص 58.

[3] – جاسم علي جاسم، أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط1، 2018 ص 15 ، ص 16.

وللمقبولية شرط التماسك الدلالي ، سواء عند القدامى أو المحدثين ، العرب أو الغربيين ، فأرسطو اشترط أن تكون النتائج من جنس القضايا ، وسيبويه اشترط السلامة اللغوية التركيبية والعقلية والواقعية ، أمّا فان ديك لم يبتعد عمّا قال به سيبويه ، ويضرب لذلك مثالا:

- جون أعزب ، فهو إذن غير متزوج
- جون أعزب ، فقد اشترى كثيرا من الاسطوانات
- جون أعزب ، إذن امستردام عاصمة هولندا

فقد تكون الجملتان الأولى والثانية مقبولتين ، لكن الجملة الثالثة تبدو غريبة ، فالمقبولية لا تتحقق فقط على المستوى النحوي التركيبي ، وإنّما تشترط حسب كما هو في الجملة الثالثة التّرابط الدّلالي. فالجملة الثالثة لا عيب فيها من الناحية التركيبية ، وإنّما تفتقد إلى التماسك الدّلالي[1].

هذه خلاصة أهمّ معايير نصّية النّص التي توصّلت إليها الدّراسات اللّسانية النّصية المعاصرة والتي لم يخل منها التفكير اللساني العربي سواء عند القدامى أو المحدثين.

[1] – ينظر : مولاي مروان العلوي ، الترابط الدلالي في لسانيات الخطاب ، تصور تون أ فان ديك نموذجا[مقال]، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب ، ع2 ، جامعة المسيلة ، الجزائر ، نوفمبر 2017، ص 195.

المحاضرة الثّانية عشرة

النّص والكفاءة المعرفية

تمهيد:

لا يمكن أن يحدث تواصل بين البشر، ولا يمكن انتاج الخطابات، ولا يمكن تلقيها وتأويلها إلا في ضلّ امتلاك كفاءة معرفية، كفاءة باللّغة واستعمالاتها، كفاءة باستعمالات اللّغة في مختلف المواقف والسياقات، وكفاءة معرفية تسمح بتفكيك السّنن اللّغوي المستعمل سيما في النّصوص الأدبية، وتأويل الخطاب وفهمه، فما المقصود بالكفاءة المعرفية ؟ وما علاقة النّص انتاجا وتلقيا بالكفاءة المعرفية؟.

أ- مفهوم الكفاءة المعرفية:

نعني بالكفاءة تلك الملكة والاستعدادات التي يمتلكها الفرد، وإذا ما أضفنا إليها المعرفة فهي على النحو الذي وضّحه نعوم تشومسكي في حديثه عن الكفاية اللغوية ،إنّها الرّصيد المعرفي أو الخبرة الذي يختزنها الفرد من معارف مختلفة وباستخداماتها، وبتلقيها، والملكة المعرفية على هذا النّحو ذات طابع عقلي مرتبط بالذاكرة. تسمح للفرد على استحضارها لحظة الأداء أو الانجاز[1]. وبقدر امتلاك الكفاءة المعرفية تكون قدرتنا على انشاء الخطاب وبنائه والاستجابة له.

[1] – نعوم تشومسكي ، أفاق جديدة في دراسة اللّغة والعقل ، ترجمة : عدنان حسن ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية سوريا ، ط1 ، 2009 ، ص 36.

ب – الكفاءة المعرفية والنّص في التّراث العربي:

ترد فكرة الكفاءة المعرفية في التراث العربي في جانبه النقدي، وفي جانبه اللغوي، أمّا في الجانب النقدي فلعلّها تتجلى في مقولة الملكة التي تحدّث عنها ابن خلدون وربطها بالمنوال أو القالب. وهذه الملكة لا تحصل إلاّ بالدّربة: " والملكات اللّسانية كلها إنّما تكتسب بالصّناعة والارتياض في كلامهم(العرب) حتى يحصل شبه تلك الملكة، وهذه الملكة تكون في شكل قوالب لكل صنعة وفنّ، فيجب على كلّ من أراد أن يتمرّس في صنعة من الصّنائع أن يتمرّس على هذه القوالب التي هي في الاصل معايير وشروط الصّنعة كما تواضع عليها أهلها[1].

ج – الكفاءة والخطاب عند اللّغويين:

فهي معرفة الوضع اللّغوي، وليس المقصود بالوضع اللّغوي الدّلالة المعجمية فحسب وإنّما كل الأنظمة الفرعية التي تشكّل نظام اللّغة ككلّ من معايير نحوية وصرفية وتركيبية و صوتية و مقتضيات كل علم من هذه العلوم واستخدامها. وهذا يكون بالاكتساب، يقول ابن خلدون: " إنّ اللّغات كلّها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللّسان للعبارة عن المعاني، وجودتها، وقصورها بحسب تمام تلك الملكة، أو نقصانها، وليس النّظر إلى المفردات، و إنّما هو النّظر إلى التّراكيب، فإذا حصلت الملكة التّامة في تركيب الألفاظ المفردة للتّعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التّأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغة المتكلّم. والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأنّ الفعل يقع أولا

[1]– عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون ، اعتناء ودراسة : أحمد الزّعبي، شركة دار الأرقم بن الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2016 ، ص 648.

وتعود منه للذّات صفة، ثم يتكرّر فتكون منه حالا، ومعنى الحال انّها صفة غير راسخة ثمّ يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة." [1].

فالكفاءة اللّسانية والمعرفية هي معرفة قواعد اللّغة واستعمالاتها كنظام من العلامات المتواضع عليها اجتماعيا، والكفاءة المعرفية تتطلّب من المبدع معرفة اللّغة، وكذا أنواع الخطابات وأجناسها، فكلّ فن هو صناعة وملكة كما قال ابن خلون آنفا. وكلّ ما يتطلّبه كل فنّ من الفنون، وأعراف النّاس في كلّ فنّ من احترام المقام ومراعاة مقتضى الحال والإجادة في التّعبير عن المراد.

وهذه الكفاءة إنّما تكون بالتّحصيل، وحفظ المتون الراقية التي اتّفق على فصاحتها ولعدها عن اللحن أو استعمال الأعجمي غير المعرّب، ويشفع هذا الحفظ بالاستعمال، لأنّ الاستعمال يمنح المكنة في اللغة، والسّلاسة والطّلاقة في اللّسان، بل ويحفظ المحفوظ من الضّياع[2]. ذلك هو منهج العرب القدامى في تحصيل ملكة اللغة والكفاءة اللّسانية فالكفاءة ليست معرفة القواعد، ولن تأتي بالدّرس اللّساني ومناهجه أبدا مادامت جعبة المتكلّم خاوية.

وبالعودة إلى التّراث النقدي الأدبي عند العرب يصادفنا موقف نقدي ينبئ عن ضرورة امتلاك المتلقي لكفاءة معرفية في تلقي الإبداع الأدبي، هذا الموقف يتمثّل في ردّ أبي تمام

[1] – المصدر نفسه ، ص 632.

[2] – مسعود بودوخة ، البلاغة العربية بين الامتاع والاقناع ، مرجع سابق ، ص 167.

على منتقديه الذين رموه بالإغراب في قول الشّعر، فقالوا له: لماذا لا تقول ما يفهم؟ ، فردّ لماذا لا تفهمون ما يقال؟[1].

وقد كان عندهم الشّعر المطعّم بالمعرفة أحسن وأرقى من غيره، وهذه المزيّة تجعل الإبداع الأدبي عندهم يمتلك رؤية للعالم، وبمعارف أخرى تدبّج تصويره للأشياء، وتجعل معانيه أعمق والفاظه أدق. وهذه المزيّة تتجلّى في التّراث النقدي من خلال الموازنة بين أبي تمام والبحتري (الطائيين)[2].

كما أنّ المفسرين المسلمين من باب الأدب مع كلام الله، ومن سدّ باب الانحراف في تأويله اشترطوا في المفسّر المعرفة بلغة العرب معرفة وافية في مختلف علوم العربية، فالتأويل أو قراءة النّص تلزم معرفة اللّغة، واستخداماتها في المواقف والأغراض والمقاصد المناسبات إضافة إلى معرفته بمقاصد الشّرع وأسباب النّزول، بل ومعرفة أحوال النّاس عموما وقت نّزوله[3].

[1] – محمد رضا مروة ، أبو تمام – عصره حياته شعره – جزء – 15 من سلسلة أعلام الأدباء والشعراء، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1990، ،ص97.

[2] – أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، ط4 ، القاهرة ، مصر ، 1992 ، ص 19.

[3]– أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، فسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 1–6 مع الفهارس ج1، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط1، 2016، ص16.

د- الكفاءة المعرفية والخطاب في اللّسانيات الحديثة:

لعلّ مقولة اعتباطية العلاقة بين الدّال والمدلول التي أقرّها الدرس اللّساني الحديث تجعل من الكفاءة المعرفية باللّغة ضرورية، ذلك أنّ الصورة الذهنية هي الجانب المعرفي الذي يتطلّب الاتفاق بين النّاس في الوضع اللّغوي، حتى يكون للأصوات البشرية دلالة، ثم إنّ نظام العلامات لا يدخل في علاقات إلاّ من خلال اتّباع قواعد اللّسان الذي تتّفق عليه الجماعة البشرية، هذا الاتّفاق في القواعد والذي يشكّل ذاكرة لغوية يغدو البنية العميقة التي يمكن فيما بعد التوليد منها أو تحويلها، فقواعد اللّغة هي قواعد ذهنية مجرّدة.[1]

وقد فرّق تشومسكي بين الكفاية اللّغوية والأداء، فالكفاية اللّغوية عنده هي امتلاك المتكلّم والسّامع على حدّ سواء على مخزون كاف من قواعد وقوانين اللّغة في ذهن الإنسان اكتسبها في حياته، فتمكّنه من انتاج جمل صحيحة، والحكم على صحّة ما يسمعه، بينما يمثّل الأداء استعمال المتكلّم للقوانين اللّغوية، أو قدرته على توظيف مكتسباته اللّغوية[2]. كما سبقت الإشارة إليها آنفا.

إنّ كل متلفّظ للخطاب لا ينتج دوما ملفوظات تنتمي إلى تشكيلة خطابية واحدة، بل هو ينتج عددا لا متناه من الملفوظات، وهو كمتلق أيضا في عملية تبادل الأدوار(مخاطِب/ مخاطَب) يتحتّم عليه أن يدرك جيدا التّشكيلات الخطابية التي يولّد منها الآخر ملفوظه فتداولية الخطاب واستراتيجية التّواصل الأنجع تقتضي معرفة السياقات والمقام وملابسات

[1] – عبد الله الطويرقي ، علم الاتصال المعاصر: دراسة في الأنماط والمفاهيم وعالم الوسيلة الإعلامية في المجتمع السعودي العبيكان للنشر، الرياض ، السعودية ، ط1 ،1997،ص65.

[2] – نعوم تشومسكي ، أفاق جديدة في دراسة اللّغة والعقل، ص36.

الخطاب ومعرفة أرشيفه والتّشكيلة الخطابية، وأجناس الخطاب (دينية، فلسفية، سياسية اجتماعية)[1].

إنّ الأدب كخطاب يتميّز بالكثافة الدّلالية والإيحاء، واللّغة الاستعارية التي تتجاوز المعيار والمألوف، والذي يستثمر الواقع المرجعي على نحو يخدم استراتيجية المبدع لتحقيق أهدافه، وعلى نحو تتحوّل الوقائع المرجعية إلى علامات تتعالق فيما بينها لتشكّل بنيتها الخاصة، يجعل من عملية تلقيه المفتوحة على التّاريخ تفرض ضرورة مراعاة ظروف الانتاج وتفرض التّنبّه لقيمة العلامات السّيميائية المستخدمة وعلاقتها باستراتيجية الخطاب ـ باعتباره كلاما ـ وظروف انتاجه، كما يرى تودوروف[2].

ثمّة دائما علاقة بين اللّغة والفكر، فإذا كانت اللّغة هي عبارة عن دوال ومدلولات، فإن الجدل الذي استمرّ لقرون عديدة بين الفلاسفة والبلاغيين واللّغويين، هو العلاقة الجدلية بين الدّال والمدلول، هل نفكّر ثمّ نعبّر باللّغة أم أنّ اللّغة سابقة للوجود عن الفكر، واليوم في ضلّ توسّع دائرة البحث اللّغوي أصبحت فلسفة المعنى وفلسفة اللّغة وفلسفة العلامة كلّها بحوث تحاول مقاربة العلاقة بين اللّغة ومضامينها وعلاقتها بالعالم السّيميائي المحيط بها واستخدام العلامة اللّغوية، وعلاقتها بالتّاريخ، والمتّخاطبين و المقام، وبالممارسات الاجتماعية ، وبالوضع والاستعمال، وكذا علاقتها بالمنطق.

إنّ العلاقات التركيبة بين الدّوال يمكن معالجتها حاسوبيا ، لكن ما لا يستطيع الحاسوب عمله هو التّعرف على الدلالات الضّمنية والمضمرة في أنساق الخطابات الإنسانية، فاللّغة

[1] – دومينيك منغونو ، باتريك شارودو ، معجم تحليل الخطاب ، مرجع سابق ، ص 113.

[2] – تزفيتان تودوروف ، الشعرية ، ترجمة شكري المبخوت ، رجاء بن سلامة ، مرجع سابق، ص 42 ، ص 43.

الإنسانية لغة فكر، وهذا الفكر له مساراته التاريخية، ومرتبط بظروف انتاجه، والانتقال الاستعاري بين الخطابات [1]. يبقى الخطاب العلمي الوحيد أو الخطاب المونولوجي الذي لا يتطلّب تفاعلا اجتماعيا في عملية التّلقي هو الخطاب الذي يمكن للحاسوب معالجته دلاليا.

إنّ الكفاءة المعرفية هي التي جعلت باختين يرى في الخطاب الأدبي خطابا تفاعليا حيث تتعدّد الأصوات، وكلّ صوت يعبّر عن حالة اجتماعية ووضعية اقتصادية ونظرة للحياة قد تلتقي برؤية الآخر، وقد تختلف، كما قد تتّفق ايديولوجيا أو تختلف. فتعدّد الأصوات هو تعدّد في وجهات النظر، هو تعدد في الأفكار، وفي البيئات المنتجة لها وزوايا النّظر للأشياء وللعالم المحيط بنا[2]. حينما يصبح الخطاب أو أي حدث تواصلي هو تجربة فعلية مرتبط بذات فاعلة ايضا وليس منعزلا عنه[3]. وهذا هو الفرق الذي انتبه إليه تودوروف بين التّلفظ عند باختين والنموذج الاتصالي عند ياكوبسون [4]:

[1] - Mario Borillo , Informatique pour les sciences de l'homme: limites de la formalisation du raisonnement ,Editions Mardaga, bruxelle, 1984, p20.

[2] – تزفيطان تودوروف ، ميخائيل باختين المبدأ الحواري ، مرجع سابق ، ص122، ص 123.

[3] – المرجع نفسه، ص108.

[4] – المرجع نفسه ، 110.

باختين	ياكوبسون
المتكلّم التّلفظ المستمع	المرسل الرّسالة المرسل إليه
التّناص	الاتّصال
اللّغة	النّظام الرّمزي

ففي النّموذج الباختيني يظهر الملفوظ في علاقة تشابك مع الملفوظات الأخرى، بينما في نموذج ياكوبسون يبدو منعزلا وقائما بذاته.

ولا يختلف جونثان كولر عن باختين كثيرا فهو يرى على النحو الذي صاغة تشومسكي في اللّسانيات أن الكفاءة في الأعمال الادبية عند المبدع والقارئ تكون بمراعاة قواعد الخطاب الأدبي وقوانينه وشرطه وطبيعته ، فمن يعالج نصا أدبيا لا بدّ أن يعتمد على فهم مضمر ومسبق لعملية الخطاب الأدبي، ودون هذه العملية يغدو النّص الأدبي مستغلقا أو عبارة عن طلاسم[1].

إنّ الخطاب الأدبي لا يقول كلّ شيء، ثمّة فجوات أو مسكوت عنه ضمن النّص، وهذا المضمر، أو المسكوت عنه، يحتاج من القارئ كفاءة الانتباه له و ملء الفراغ استنادا إلى السّياق العام، وخبرته بالنّصوص[2]. تماما على النّحو الذي يفعّل آلية الاستدلال العقلي

[1] – نقلا عن : هشام الشيخ عيسى، براءة النص (مقالات في النقد الحديث)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 2013 ، ص53

[2] –عصام عبد السلام شرتح، الشعرية بين فعل القراءة وآلية التأويل (دراسة في التلقي والتاويل الجمالي)، دار الخليج للصحافة والنّشر، عمّان ، الأردن ، ط1، 2018، ص 66.

في ملء فراغ جملة ما استنادا إلى سياق القول. و يمكن الاعتماد على بيت المتنبي المذكور سابقا:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسّيف والرّمح والقرطاس والقلم[1]

فكما يستعين القارئ من أجل تأويل منسجم للبيت الشّعري، فينتبه إلى المسند المشترك بين كل المسانيد إليه، فإنّه يربط ضمن السّياق العام للنّص بين مدح سيف الدّولة وافتخار المتنبي بقوّته لتتحوّل قوة سيف الدّولة إلى سخرية، فشتان بين ملك شيّده سيف الدولة بالقوّة وبين ملك أتى المتنبي طائعا، أو الفرق بين الوجود بالفعل والوجود بالقوّة.

ويشير فان ديك إلى نمط المعرفة من خلال نمطين ؛ نمط قصير المدى ، ونمط طويل المدى ، وكلّ نمط يتشكّل من معارف على النّحو الآتي:

معرفة طويلة الأمد					
لغوية			غير لغوية		
معجمية	نحوية	تداولية	حالية	عرضية	عامّة

معرفة قصيرة الأمد			
سياقية	نصّية		
	حالية	عرضية	عامّة

[1] – أبو الطيب أحمد بن الحسين (المتنبي)، ديوان المتنبي،ج3، دار صادر، بيروت،، لبنان ،ط3، 2003،ص 213..

الشكل [1].

وفي الأخير، ستكون ثمّة عودة إلى الكفاءة المعرفية في معرض الحديث عن النّص والتّواصل.

[1] – نقلا عن : ربيعة العربي، الخطاب: المحددات وآليات الاشتغال، مرجع سابق ، 109.

المحاضرة الثّالثةعشرة

النّص وسيلة تواصلية

تمهيد:

إنّ حياة البشر لا تصلح إلاّ بالتّواصل، ولذلك ابتكر الانسان وسائل عديدة للتعبير عن حاجاته، أو نقلها إلى الآخرين الذين يحيطون به من جنسه، الايماءات والرّسومات، ثمّ مرحلة انتاج الأصوات اللّغوية، فالكتابة. ومع تطوّر الوسائل التّقنية الحديثة شكّلت الصّورة نموذجا آخر للتّواصل البشري، لكن رغم ذلك، فإنّ النّصوص تبقى أرقى وسائل التواصل بين البشر. بل وتبقى أكثرها تداولا عبر وسائل التّواصل الاجتماعي والعالم الرّقمي ككلّ.

1- النّص و التّواصل في الفكر العربي :

معظم المؤلّفات في التّراث العربي كانت في شكل رسائل، فالمؤلّف يكتب مصنّفه ثمّ يبعث به عادة إلى السّلطان، يضمّن كتابه تصّوراته في قضيّة ما، تشكّل محور الخطاب وموضوعه، وفحوى الرّسالة، على غرار ما فعله أبو حيان التوحيدي في كتابه الإمتاع والمؤانسة، حيث كان يخاطب الوزير.

ونجد المفسرين العرب قد استقبلوا الكلام الإلهي (القرآن على وجه الخصوص) كرسالة لغوية عبر الوحي، الوحي الذي يؤسّس لحدث تواصلي مهم، سواء أكان قناة أو فعل تكلّم بين الله والبشر، والله والنبي الكريم عليه الصلاة والسّلام، بسنن هو اللّغة العربية، واعتنوا بفكرة التنجيم وعلاقتها بالمناسبات من جهة وعلاقتها بالتّدرج في التّشريع ، وكذا في علاقتها

بقدرة المتلقي على الاستقبال الجيد، الاستقبال الواعي[1]. ثمّ الاتصال بين المسلم وربّه .وهي قضيّة ناقشها المؤلّف الياباني توهوشيكو إيزوتسو في كتابه الله والإنسان في القرآن[2]. فالطبيعة التّواصلية للقرآن الكريم هي التي تجعل منه اجابات عن أسئلة الإنسان المصيرية بل كلّ آياته تشكّل إجابة عن تساؤل ما. أي مفتوح على كل مقتضيات الحال زمانا ومكانا ظاهرا وباطنا[3].

وقد مرّت بنا شروط البلاغيين العرب في الخطاب، سواء ما تعلّق منها بالمتكلّم أو بالرّسالة، أو بالمستمع، أو بالسّياق والسنن والمقام. كلّها شروط تنمّ عن إدراك واع من البلاغيين العرب أن النّص وسيلة تواصلية تحمل مقاصد المتكلّم لا بدّ فيها من مراعاة السّنن الذي يجعل كلامه مقبولا ومعقولا لدى المتلقي، ولابدّ من اهتمامه بمقتضى الحال وشروط المقام، وعلى المتكلّم أن ينتبه إلى كلّ ملابسات الخطاب وظروف انتاجه، دون نسيان شرط الامتاع والاقناع[4]، وهي كلّها شروط العملية التّواصلية.

[1] – محمد متولى الشعراوي، معجزة القرآن – الجزء الأول، مرجع سابق ، ص 33، ص34.

[2] – توشيهيكو إيزوتسو ، الله والانسان في القرآن ، علم دلالة الرّؤية القرآنية للعالم ، ترجمة : هلال محمد الجهاد ، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية ، منظمة الترجمة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2007 ، ص213

[3] –محمد متولى الشعراوي، معجزة القرآن – الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص 34.

[4] – مسعود بودوخة، البلاغة العربية بين الإمتاع والإقناع، مرجع سابق، ص162.

7-النّص وسيلة تواصلية في الدّراسات الغربية:

الحديث عن التّواصل يتّضح أكثر من خلال فهم نظرية الاتّصال، وهي من بين النّظريات البينية التي تشكّلت من حقول معرفية مختلفة؛ الهندسة، الاجتماع، والاعلام، اللسانيات والدّراسات النّقدية.

فقد بدأت معالم نظرية التواصل مع اختراع المصباح الكهربائي من طرف توماس اديسون1879، حيث لابد لاشتعال المصباح من التوصيل بين القطب الموجب والسالب واذا شغّلنا القاطعة انقطع التّيار، وهذا يشبه التّواصل بين المتكلّم والسّامع، وفي حالة انعدام السّنن المشترك ينقطع التّواصل[1]. وفي ضوء هذا التّصور يبني فكري الجزار تصوّره لأهمية العنوان في النّص، ففي الاتّصال الشفهي يستغنى عن العنوان، ولكنه في اللغة المكتوبة يكون ضروريا حتىّ تتمّ العملية التّواصلية، أذ هو بديل للموقف في الاتصال الشّفاهي .فغياب العنوان يكسر دائرة الاتّصال ويعطّلها. وبالتّالي؛ يخلق هذا الغياب مسافة ثقافية ومعرفية وجمالية بين المرسل والمرسل إليه[2].

ثمّ انتقل هذا الاهتمام إلى حقل الانثروبولوجيا أو الاجتماعيات، التي تعنى بالتواصل الثّقافي، والمؤسّساتي، والجماهيري (صحافة، إعلان، إشهار) عبر قنوات سمعية أو بصرية أو سمعية بصرية معا. وفي ضوء حقل الإعلام تطّورت نظرية الاتّصال، إذ أنّ كل عملية

[1] – مراد عبد الرحمن مبروك، النظرية النقدية: نظرية الاتصال الأدبي وتحليل الخطاب، دار الأدهم للنشر والتوزيع ، ط1 القاهرة ، مصر ،2014، ص74.

[2] – محمد فكري الجزار، العنوان و سيميوطيقا الاتصال الأدبي ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة ، مصر، ط1 1998، ص 17، ص18.

اتّصال تتطلّب؛ مرسل ورسالة وقناة وسنن ومتلق ومحيط تتمّ فيه عملية الاتّصال، وبعض مؤشّرات الاتّصال، أو بعض ما تشير إليه الرّسالة[1].

ويعدّ نموذج هارولد لاسويل من أهم نماذج نظرية الاتّصال في حقل الإعلام، وينطوي هذا النموذج على عناصر عملية الاتّصال: مرسل، قناة، رسالة، مرسل إليه، إضافة إلى عنصر القيمة أو التّأثير، ويمكن أن نضيف إليها عنصر الاستجابة أو المقبولية مادامت معيارا من معايير نصّية النّص، إذ يحصل التأثير بمدى استجابة المتلقي[2].

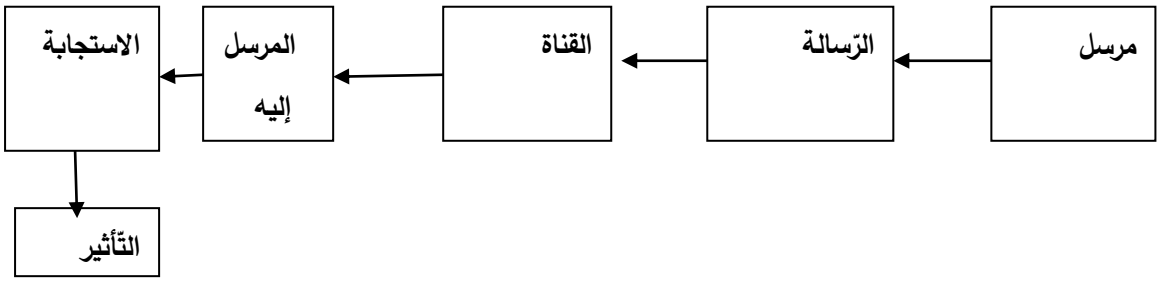

أمّا في حقل اللّسانيات فإنّ الكفاءة التواصلية عند دي سوسير حيث نبّه إلى اهميّة اللّغة في عمليّة التّواصل ونظامها، وطبيعة العلامة اللّغوية التي تندرج ضمن حقل أوسع وهو السّيميولوجيا، والمجال الأثيري (الفيزيائي)، والقناة، المرسل والمتلقي، والسّنن، والكلام كاستثمار للنّظام اللغوي أثناء العملية التّواصلية، فاللّغة نظام مجرّد يتحقّق عبر فعل الكلام.

[1] – المرجع نفسه ، ص 75.

[2] – مراد عبد الرحمن مبروك، النظرية النقدية: نظرية الاتصال الأدبي وتحليل الخطاب، مرجع سابق ، ص 76.

وبيّن أثر الصّورة السّمعية المشحونة بالحالة النّفسية (الصّورة الأكوستيكية) في تأويل العلامة، أو استخلاص الصّورة الذّهنية (الممفهوم) [1].

ولعلّ ملامح التّواصل اللّغوي تتجلّى أكثر عند ياكوبسون الذي حدّد عناصر العملية التواصلية ووظائف اللغة على النّحو الآتي:

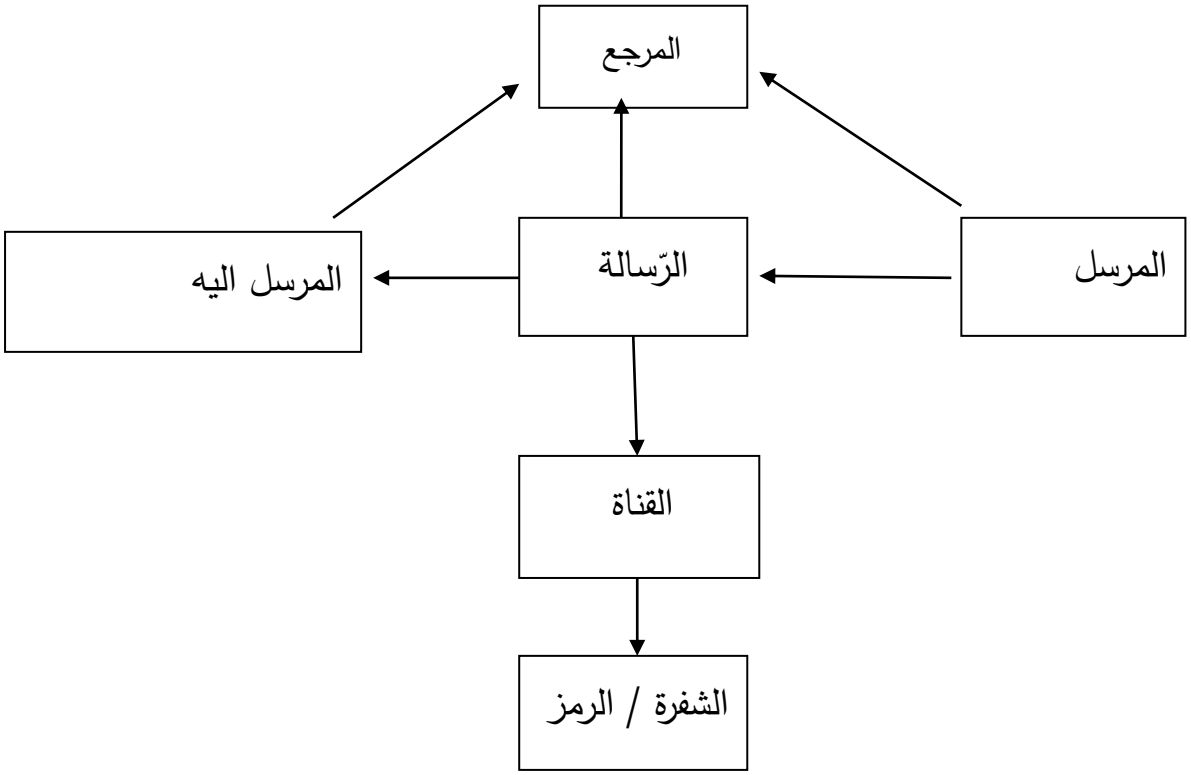

[1] – ميشال أريفيه ، البحث عن فردينان دي سوسير ، ترجمة وتقديم : محمد خير محمود البقاعي ، مراجعة : نادر سراج دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2009 ، ص79، ص80.

أ –**المرجع:** هي البيئة التي يحيل إليها الخطاب، والتي يجب أن تكون مشتركة بين الفاعلين في العملية التّواصلية، أي ما يتحدّث عنه طرفا الخطاب، نتيجة اتّفاق بينهما ويمكّن كل متابع التّواصل أيضا فيصبح مشاركا جديدا.

ب – المرسل: وهو الباث أو المسؤول المباشر عن الرّسالة والمحدّد للمرجع، وهو من يختار القماة ويختار التّرميز أو الشّفرة التي يستعملها.

ج– الرّسالة: هي عبارة عن مجموعة من العلامات تحكمها علاقات وفق نظام لتشكّل بنية أو نسق، تنقل أفكار ومشاعر وآراء المرسل إلى المرسل إليه، وتختلف من حيث الحجم ومن حيث الوظيفة التي تضطلع بها اللّغة. وتنقل الرسالة حتما عبر قناة .

د– القناة : هي وسيلة التّواصل ، وتتنوّع بين الاتّصال شفوي والمكتوب أو المسموع والمرئي

هـ– الشّفرة أو الرّمز: وهي الحاملة لفحوى الرّسالة، وقد تكون إماءة أو أصوات، أو إشارة الاتّفاق والتواضع عليها، وإلاّ فقد التّواصل جدواه.

هذه هي عناصر العملية التّواصلية التي تبنّاها ياكوبسون، وأضاف إليها وظائف اللّغة الستّ، وهي؛ الوظيفة المرجعية، والشّعرية، والتبليغية أو التّواصلية وهي وظيفة أساسية والتعبيرية أو الانفعالية، والانتباهية أو الندائية، والوظيفة الواصفة أو الشّارحة (ما وراء اللّغة) التي ترتكز على الشفرة أو الرمز[1].

[1] – نقلا عن : فرات العتيبي، مشكلات التواصل اللغوي، مركز الكتاب الأكاديمي ، عمّان ، الأردن ، ط1، 2015 ص 86.

أمّا جون سيرل و دانيال فندر فيكن فيركّزان على الفعل الكلامي ، باعتباره الوحدة الأولية للاتّصال الانساني، فعرض الموضوع عند سيرل في أفعال الكلام يتمّ عبر صيغ تداولية متعدّدة كالأمر والالتماس والعرض والطلب والتمني وغير ذلك من الصّيغ، في ارتباط وثيق بسياق الكلام، أي أنّ الفعل الانجازي يزداد قوة وضعفا بمدى ملاءمته للسّياق. فالمعنى على هذا النّحو يخضع للسياق ولقصد المتكلّم[1].

إذن، انطلاقا من التّصورات السالفة حول علاقة اللّغة بالتّواصل، ولاسيّما تصوّر رومان جاكبسون، يمكن أن نخلص إلى أنّ النّص الأدبي يشكّل رسالة من المبدع نحو القارئ أو المتلقي، تكون اللّغة مركز الاشتغال والانهماك، ولذلك تمنح للرّسالة صفة الشّعرية أو الأدبية من حيث الشّكل.

لكن النّص يختلف عن الخطاب الشّفوي المباشر، للنّص القدرة على التّرحال في الزّمان والمكان، هو خطاب عبر قناة الكتابة، هذه الكتابة التي تسمح له بالديمومة و الاستمراية. ولذلك وجبت العناية بظروف انتاج هذا الخطاب وسياقه الثقافي والفكري والاجتماعي.

فقد كانت البداية بالعناية عن الموقع الاجتماعي للمتكلّم من جهة، لكن ضمن الرّسالة وليس خارجها، نقصد هنا عزل المؤلّف، والمقاربة السّوسيو لسانية عند غولدمان في البنيوية التكوينية، ثم بدأ الاهتمام في مرحلة أخرى بعلاقة الرّسالة بالأنساق الثّقافية أي السياق الثقافي والاجتماعي الذي انتج فيه انطلاقا من النّص لا من خارجه، ومرجعياته، باعتبار انّ النّص يتأثر بالتّغيرات الاجتماعية والصراع الطبقي، وهو بالإضافة إلى ذلك منتج يتوجه

[1] -Daniel Vanderveken, Les actes de discours: essai de philosophie du langage et de l'esprit sur la signification des énonciations , Editions Mardaga, liege , bruxelles, 1988, p38, p39.

إلى مستهلكين، ولذلك ربط كلا من لوسيان غولدمان وبير زيما الرّواية بالمجتمع البرجوازي[1]

وتأتي مرحلة جديدة نحو فتح النّص على المتلقي في النقد الادبي الجديد. ثمّ مع مدرسة كوستناس الألمانية والمدرسة الامريكية الممثلّة في اتجاهها السّلوكي التي انصب اهتمامهما بتفاعل المتلقي مع النّص. وقدّموا نظرية جديدة للتلقي، حيث ميّزوا بين المتلقي الفعلي والمتلقي الضّمني، والقارئ العادي والقارئ النموذجي، وعلاقة النّص بالخبرة والرّصيد المعرفي للقارئ وموقعه، و أفقه التاريخي أيضا بموازاة أفق النّص الجمالي والثّقافي.

3- النص وسيلة تواصلية في الدّرس الفلسفي والتأويلية:

سوف يقتصر الحديث هنا على بعض الآراء لفلاسفة كان لهم أثر بارز في النقد المعاصر، وشكّلوا بآرائهم مدارس فلسفية شكّلت خلفية لبعض المدارس النقدية الحديثة والمعاصرة .

اعتبر فريديريك شلايرماخر النّص شكل من أشكال التّواصل ، واعترض على أوجه التفسير اللاهوتية للنّصوص الدينية، ورأى أنّ جميع النّصوص لا تختلف عن الاحاديث اليومية التي يطالها سوء الفهم.

ومن أجل تجاوز سوء الفهم هذا حاول بناء نظرية ابستمولوجية للفهم قوامها التركيب اللّغوي من جهة والتقني أو النّفسي والوجداني من جهة أخرى، بتأثير من النّزعة الرومنسية كما اعتمد على الدّائرة الهرمينوطيقية التي استعارها من أوغسطين، ولكن أضفى عليها طابعا جديدا، فبدلا من النّظر إلى المفردة والنّص أو الموضوع وعلاقتهما ببعضهما البعض، حاول

[1] – فيصل غازي النعيمي ، العلامة والرواية، دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمان منيف ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2009 ، ص 263.

توسيع مفهوم الدّائرة إلى جملة الانجازات المعاصرة للنّص. ورغم محاولته نظرية علمية للفهم، إلاّ انه بتركيزه على حياة المؤلّف الوجدانية في فهم النّص كمعبّر عن قصديته، فإنّه بقي حبيس الحدس، وجعل من العملية التواصلية مبنية على اساس من التّكهن، إذ طالب المتلقي بتقمص موقف المبدع لحظة انتاج النّص[1].

أمّا الفلسفة الظاهراتية فقد كان لها أثر كبير على النقد المعاصر، ولا سيّما على نظرية التّلقي. فهوسرل تبنّى فكرة الرّد الماهوي، أو تعليق الآراء المسبقة، والتوجه نحو النص عن وعي وقصد[2]. وتتطوت أفكاره أكثر مع هايدغر، ثم كلا من هانس جورج غادمار وبول ريكور اللّذين كانا مهادا فعليا لنظرية التّلقي[3].

كما لا يمكن إغفال الصّوت ودور التّنغيم والنّبر في خلق صورة ذهنية للمعنى لدى السامع وقد كان ـ كما مرّ ذكره سابقا ـ تركيز أفلاطون عليه في تأويل النّصوص[4]، ونجد للصوت حضورا في التراث العربي، سيّما في الشّعر الذي كان ينشد، والإنشاد هو تأدية صوتية مخصوصة للشّعر تحرّك خيال القارئ. فهو لا يجذب انتباهه نحو الرّسالة في العملية التّواصلية فحسب، بل يمنحه الإحساس بالجانب الجمالي في القصيدة، ويحفّز فيه مخيلته.

---

[1] -Friedrich Schleiermacher, Herméneutique, traduction et introduction de mariana simon, avant-propos de jean starobinski, Labor et Fides, geneve,1987, p58.

[2] – برنارد دلفاجيو ، فلسفة القرن العشرين، ترجمه إلى الانغليزية : ن، د، سميث ، تعريب : محمد مدين ، نيوبوك للنّشر والتّوزيع ،القاهرة ، مصر، ط1 ، 2018، ص 178.

[3] – سامي شهاب أحمد، ومضات نقدية في تحليل الخطابين الأدبي والنقدي: دراسة في الشعر والنثر ونقد النقد، دار غيداء للنشر و التوزيع، عمّان ، الأردن ،2012، ص74.

[4] – عادل مصطفي ، فهم الفهم ، مدخل إلى الهرمينوطيقا ، نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامر، رؤية للنشر والتّوزيع القاهرة ، مصر، ط1 ، 2007، ص 36.

فلعلّ الانشاد يكشف عن تجربة المبدع، ويمنح القارئ القدرة على معايشتها ثانية، وبالتّالي الإمساك بمعنى النّص، والدلالات الاجتماعية والنفسية لصوره الاستعارية[1].

وفي الأخير، تجدر الاشارة كذلك إلى قيمة الايماءات المصاحبة للنّص في العملية التّواصلية، وكذا الايقونات التي قد تشكّل نصّا موازيا، فهي علامات شارحة، تسهم في إنجاح العملية التواصلية، فكل علامة سيميائية مصاحبة للخطاب الشّفوي أو المكتوب يمكن أن تلعب دور المؤوّل الذي يمكن القارئ بالاستدلال العقلي أن يربط بينها وبين النص فيصل إلى قصد المؤلّف، كلباس الممثل المسرحي وكلّ حركاته في ركح المسرح، وكذا الديكور وتوزيع الإضاءة والأنغام الموسيقية [2].

وستتم العودة إلى النص والتّواصل في بقية المحاضرات باعتباره عصب الخطاب والمحور الرئيس في تحليل الخطاب.

[1] – محمد مبارك ، استقبال النّص عند العرب ، المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر بيروت ، لبنان ، دار فارس للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط1 ، 1999، ص 126.

[2] – أكرم اليوسف، الفضاء المسرحي بين النص الاجتماعي والاقتصاد الدرامي، دار مؤسسة رسلان للنشر والتوزيع دمشق، سوريا ، ط1 ، 2010، ص88.

المحاضرة الرّابعة عشرة

خطابية النّص

تمهيد:

هل يكون النّص خطابا ؟ ما هي مؤشرات خطابية النّص، هل كلّ نص خطاب ؟. وقبل ذلك، هل ثمة نصّية خطاب لنتحدث عن خطابية نص؟. تلك هي الاسئلة التي تحاول هذه الورقة الإجابة عنها.

1 – نصّية الخطاب أو ملفوظ الخطاب:

لنفترض أنّ رئيس الجمهورية ألقى خطابا سياسيا، أو مدرّسا ألقى محاضرة، أو متكلّما وجّه رسالة معيّنة إلى مستمع ما في جميع الاحوال، فإنّ الكلام الذي تمّ توجيهه هو ما نسمّيه بنصّ الخطاب أو القول أو الملفوظ. بيد أنّ النّص كمصطلح أصبح يدلّ على ما هو مثبت بالكتابة، والنّص الأدبي كيفما كان نوعه أو جنسه؛ شعرا أو نثر، قصيدة أو رواية أو مثلا أو حكمة أو قصّة، فإنّه هو الآخر يشكّل ملفوظا أو نصّ خطاب. لكن عند الحديث عن نص الخطاب، فإنّه من الواجب التأكيد على أنّ النّص هنا قد عزل عن صاحبه وعن السّياق أو المقام الذي قيل فيه.

من أجل توضيح ربّما يقرّب التّصور أحسن إلى الأذهان، لنفترض أنّ نص خطاب رئيس الجمهورية قد ألقاه شخصا آخر ناب عنه. فإنّنا حينها نقول أن فلانا ألقى نص خطاب الرّئيس، فالخطاب هنا يسند إلى الذات المتلفّظة لا إلى الذات المشاركة في التّلفظ. كما يمكن أن يصبح مدونة يشتغل عليها محلل للخطاب، وحينها نقول إنّنا أمام نص خطاب الرئيس كمدونة مكتوبة. فنصية الخطاب نعني بها كل خطاب عزل عن سياقه، ومؤلّفه، وجمهوره،

وعن مرجعياته، ليغدو متتالية من العلامات المنتظمة في نسق لها بداية ونهاية أو بنية في حين يكون الخطاب موقفا[1].

2 . خطابية النّص:

هناك كثير من المؤشرات التي تجعل من النّص خطابا، أهمّها:

أ – النّص الموازي أو المناص:

والمناص عند جيرار جينيت يعني: العنوان الرئيس والعناوين الفرعية، اسم المؤلّف الغلاف، الإهداء. اسم النّاشر، الاستهلال، التّقديم، الشروحات والشروحات السّابقة، الندوات ذات الصلة بالنّص، وكل حواشي المتن[2]، وحتى توصيفات الديكور، ومؤشّرات العرض وقائمة الشّخصيات، التي أضافها جين ماري تومسو* لمناص جيرار جينيت[3].

ويرى جينيت أنّ المناص يربط النّص بمؤلّفه ويحدد جنس الخطاب ونوعه، ويحدّد جمهوره الخاص كذلك، أو القارئ المستهدف، وربّما يكشف عن مرجعية الخطاب في الآن نفسه[4].

---

[1] – محمد العبد، النص و الخطاب و الاتّصال، مرجع سابق، ص 11.

[2] – عبد الحق بلعابد ، عتبات ، جيرار جينيت من النص إلى المناص ، تقديم : سعيد يقطين ،الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ، لبنان ، منشورات الأختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2008 ، ص 28.

* – جين ماري تومسو أستاذ محاضر مختص بالفنون الاستعراضية بجامعة باريس الثامنة.

[3] –Jean–Marie Thomasseau, Pour une analyse du para-texte théâtral : quelques éléments du para-texte hugolien [article], Le lieu / La scène, Littérature, n°53, 1984,persée , lyon France, , p 80.

[4] – عبد الحق بلعابد ، عتبات ، جيرار جينيت من النص إلى المناص ، مرجع سابق ، ص 53، ص54 .

وقد تكفي أهمية العنوان لتكشف عن قيمة المناص في خطابية النّص ، فرولان بارت يرى أنّ العنوان:" عبارة عن أنظمة سيميولوجية تحمل في طياتها قيما أخلاقية واجتماعية وايديولوجية."[1]. أمّا لوي هويك فيقول عنه : " هو مجموعة العلامات اللّسانية من كلمات وجمل، وحتى نصوص، قد تظهر على رأس النّص لتدلّ عليه وتعينه، تشير لمحتواه الكلّي ولتجذب جمهوره المستهدف."[2]، أما أومبرتو إيكو فيراه مفتاحا لولوج عالم النّص على القارئ أن لا يغفل أهميته في عملية التأويل[3].

وقد نبّهنا سابقا إلى أهمية العنوان كجملة نواة أو منطلق، فهو رأس الجسد والنص تمطيط له، وتحوير، بالزيادة أو الاستبدال، فالعنوان لدى السيميولوجي هو بؤرة النّص، يقول محمد مفتاح:" العنوان يمدّنا بزاد ثمين لتفكيك النّص ودراسته،،، يقدّم لنا معونة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد انتاج نفسه وهو الذي يحدد هوية القصيدة ،، فهو بمثابة الرأس للجسد، والأساس الذي تبنى عليه، غير أنّه إمّا أن يكون طويلا فيساعد على تموقع المضمون الذي يتلوه، وإمّا أن يكون قصيرا

[1] – جميل حمداوي، السّيميوطيقا والعنونة، [مقال]، مجلة عالم الفكر، المجلد 25، ع3، في الادب والنقد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس 1997، ص99.

[2] - Leo H. Hoek, La marque du titre: Dispositifs sémiotiques d'une pratique textuelle , Approaches to Semiotics [AS], Volume n°60, Mouton Editeur ,Lahaye, Paris , NewYork, 2011, p18.

[3] – أمبرتو إيكو، آليات الكتابة السردية، نصوص حول تجربة خاصة، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد ، دار الحوار للنّشر والتوزيع ، اللاذقية ، سوريا، ط 1، 2009، ص20.

وحينئذ، لابدّ من قرائن فوق لغوية توحي بما يتبعه ."[1]. فالعنوان يضيف روبرت شولز هو الذي يخلق القصيدة (النّص) هو الذي يسميّها، ويعيّنها ويخلق أجواءها النّصية والتناصية[2].

فالعنوان يكتسي أهمية كبيرة أهمية كبيرة، فهو يربط النّص بالجمهور من حيث الوظيفة الإغرائية والتواصلية، وهو يسهم في تعزيز انسجام النّص، وله وظيفة إحالية أيضا بالإضافة إلى الوظيفة الشّعرية في النّص الأدبي من حيث الايحاء والتكثيف الدّلالي. يقول شارلز غريفل : " يتضمّن العمل الأدبي بأكمله بنفس القدر الذي يتضمن به العمل الادبي العنوان ويتدخل الأوّل في توجيه الثاني كما يرشد غلى قراءته قراءة تصير خاصة به، وبقدر ما نعتبر العنوان دليلا (علامة) على كون سيميائي هو النّص في حدّ ذاته، بقدر ما (قد) نعتبر هذا النّص إجابة (ردّا) على تساؤل العنوان،،،، ونعتبره فوق ذلك مرجعا (يحيل على مجموعة من الدّلائل) ،،، التي تكون (القصة /النّص)" [3].

ولعلّ خطابية النّص تبدأ من عنوانه، والنّص هنا قد يكون مجلّدا، فالعنوان ليس جملة أو كلمة، فهو من الناحية البنيوية يساويهما، من زاوية اللّغة، أمّا من ناحية فعل الكلام أو الخطاب، فهو تأسيس لاتّصال بالآخر(المتلقي) منذ البداية، إذ هو يحمل مقصدية

[1] – محمد مفتاح، دينامية النّص، تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، بيروت ، لبنان، ط3 2006 ، ص72..

[2] – روبرت شولز وآخرون، اللغة والخطاب الأادبي، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب بيروت ، لبنان، ط 1، 1993، ص93، ص94.

[3] – بشير القمري ، شعرية النّص الرّوائي ، قراءة تناصية في كتاب التجليات ، شركة البيادر للنّشر والتوزيع ، الرّباط ، المغرب ، ط1 ، 1991،ص121. بتصرّف.

معينة للمؤلّف[1]، ويجعل فكري الجزار العنوان لب النّص والخطاب، بحيث من خلاله نعبر من النّص إلى الخطاب لكي تتمّ ـ كما ذكرنا سابقا ـ العملية التواصلية في حالة اللّغة المكتوبة.

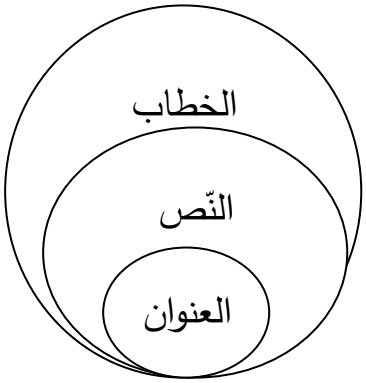

الشّكل [2].

ب – التلفّظ :

التّلفظ يعرّفه إيميل بنفنيست في معرض الحديث عن ذاتية الكلام أو الصّوغ الذّاتي للّغة هو: " تشغيل اللّغة عن طريق فعل فردي في الاستعمال"[3]. ويعدّ بنفنيست صاحب الفضل في تأسيس لسانيات التّلفّظ والعناية بالملفوظ وعملية انتاجه، بعدما كان دوسوسير، ربّما بداعي الموضوعية في الدّرس اللساني قد فصل بين اللّغة والكلام، وقد يكون أرجأ الاشتغال على الكلام نتيجة ارتباطه بعلم النفس وعلم الاجتماع، وكلّ ما يمكن ان يدخل في إطار السّياق[4].

[1] – محمد فكري الجزار، العنوان و سيميوطيقا الاتصال الأدبي، مصدرسابق ، ص 21 ، ص22.

[2] – المصدر نفسه ، ص38.

[3] - Emile Benveniste , Problemes de l’inguistique générale, nrf, Edition Gallimard , France, 1966, p 261.

[4] – دايري مسكين، دلاليات التلفظ عند جوزيف كورتيس : فعالية المفاهيم اللسانية في المقاربة السيميائية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان، الأردن، 2018، ص09.

فبنفنيست فسح المجال للدّرس اللّساني للخروج من قوقعة (الرّسالة/ الجملة) إلى رحاب العملية التّواصلية التي تشمل المتلفّظ والملفوظ والسّياق والمتلقي (السّامع).وهذه العناصر كلّها لها ما يحيل إليها من داخل الملفوظ نفسه. وبالتّالي يكون بنفنيست رغم هذا الطرح مدينا للتّصور السوسيري من أنّ العالم شبكة من العلامات تحكمها علاقات، فهو لا يخرج عن الإطار العام الذي أحدثه سيوسير في السّيميائيات المبني على أساس نسقي[1].

في هذا التّصوّر المعرفي ذاته نجد كلّ من ألجيرداس غريماس وجوزيف كورتيس في المدرسة السيميائية الفرنسية التي بنت مشروعها في ضوء البحث اللّساني الرّياضي الذي بلوره لويس هلمسليف، والذي يهدف إلى التعرف على المعنى من خلال تشكّله، ولن يكون له وجودا علميا إلاّ به[2]، ويضيف إيكو أنّ السيميائيات الحديثة سعت إلى الخروج من بوتقة الدراسة المحايثة للغة على نحو مغلق إلى فضاء الاهتمام بالمتكلّم والإحالة إلى السّياق والتأويل المتعّدد للعلامات وتداوليتها[3] .

فالتّلفظ لم يبق حبيس التّصور العملية التّواصلية، ذلك أن العلامات يمكن أن تكون ذات دلالة تتجاوز فكرة قصدية المرسل، فعلامة إشهارية يقول كورتيس قد تحمل قصدية المرسل إلى المتلقي، لكن حينما تلاحظ التّمايز بين القطارات المتوجّهة نحو الشّمال في روما عن القطارات المتوجّهة نحو الجنوب، فليس ثمّة قصدية، لكن حتما هناك دلالة[4]. فرحلة

[1] – المرجع نفسه ، ص 21.

[2] – نقلا عن : دايري مسكين، دلاليات التلفظ عند جوزيف كورتيس : فعالية المفاهيم اللسانية في المقاربة السيميائية، المرجع السابق، ص22

[3] – ينظر: المرجع نفسه ، ص 24.

[4] –المرجع نفسه ، ص 32.

قصيرة مثلا في تبسّة تجعلك تقف عند علامات ككثرة المطاعم والمحلات التّجارية وقلّة المكتبات، فتكتشف أنّ هذا التّوزيع للمطاعم والمكتبات لا ينطوي على نيّة تواصل، وإنّما يحمل دلالة أخرى، تنتمي ربّما إلى نسق اجتماعي أو اقتصادي أو ثقافي.

قد يتساءل الطالب عن مثل هذه الأمثلة المقدّمة في معرض الحديث عن التّلفظ ، إنّ مثل هذه الامثلة قد تكون ملفوظات سردية، لا يهدف من خلالها المؤلّف أو المتكلّم من عقد تواصل مع القارئ، بقدر ما تكشف عن انساق مضمرة في الخطاب السّردي. وهي بذلك تكشف عن السياقات الخارجية للخطاب.

ومن بين المؤشرات الخطابية التي اعتنى بها إيميل بنفنيست دور الضمائر وظروف الزّمان والمكان، فعملية التواصلية لا تتمّ إلا بحضور ضمير المتكلّم (أنا) أو والسّامع (أنت أو (نحن) و (أنتم) في حالة الإضمارات الايديولوجية أو الاجتماعية التي تنمّ عن الانتماء أو المرتبة والمكانة[1]، و بين السّارد والمسرود له في الحكاية عند جيرار جينيت[2]

وزمن الحاضر (الآن) والمكان (هنا) [3]. وقد يتخلل الخطاب النّص السردي الذي يشتغل على الغائب في الأصل، وخطابية النّص السّردي تتجلّى في الحوار بين شخصيات العمل السّردي، وانتقاله بين الأزمنة من الماضي الغائب عبر آلية الاسترجاع والحاضر

[1]– حمو الحاج ذهبية ، التداولية واستراتيجية التّواصل ، دار رؤيا للنّشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2015 ، ص 434، ص 435 .

[2] – نقلاعن : فانسون جوف ، القراءة ، ترجمة : محمد آيت لعميم ، شكير نصر الدّين ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة مصر ، ط1 ، 2016، ص50، ص51.

[3] - Emile Benveniste, Problemes de l’inguistique générale, ibid, p 77.

والمستقبل عبر آلية الاستباق أو الاستشراف. أو عبر إعادة ترتيب أحداث المسرود والحذف، والتّأثيث أو النّحت السّردي[1].

والتأثيث أو النّحت السّردي لا يسهم فقط في بناء العمل القصصي فحسب، بالقدر الذي يخلق تفاعلا لدى المتلقي وتحفيز مخيلته[2]. لأنّ التّأثيث المكاني التّخييلي في العملية السّردية لا يختلف دوره عن الديكور في العمل المسرحي الذي يشكّل علامة سيميائية يمكن للمتفرّج أن يتّخذها مفتاحا لتأويل العمل الفنّي، فالنحت السردي هو ديكور الرّواية.

إنّ التّأثيث الجيّد للمكان هو الذي يجعل من العمل السّردي مكتملا: (أزمنة شخصيات أحداث أمكنة)، في علاقة ببعضها البعض، متواشجة، يمنح التّأثيث فعالية كبيرة لرسم معالم الزّمان والأحداث والشّخصيات، ويكشف عن موقعها الاجتماعي وايديولوجيتها و نفسياتها ووضعها الاقتصادي[3].

ولعلّ الحديث عن خطابية النّص يحتّم على القارئ العودة إلى أفكار ميخائيل باختين فإذا كان سوسير حاول وصف نسق اللّغوي معزولا عن المرجع والقائ، فإنّ باختين اهتّم باللّسان وعمليات التّلفّظ ، فالتّلفّظ عند باختين لا يكون معزولا عن اللّسان، فكلّ متلفّظ يحتل موقعا اجتماعيا معيّنا، وينتمي إلى طبقة اجتماعية، تحمل ايديولوجيا أو رؤية ما للعالم، ففي التّلفظ يتمسرح الواقع، وتتجلّى تعدد الأصوات والحوارية، يقول ميخائيل باختين : " ينشأ

[1]– تزفتان تودوروف ، الشعرية ، مصدر سابق ، ص 48 ، ص49.

[2] – محمد صابر عبيد، فلسفة السرد: مقاربة نقدية في ديناميات التّعبير الروائي عند قاسم توفيق، دار غيداء للنشر والتوزيع عمّان، الأردن ط1، 2016، ص70.

[3] – عبد الرحمن بن زورة، شعريّة الفضاء في النّقد الرّوائي المغاربي المعاصر (المفهوم والتّحولات)، مركز الكتاب الأكاديمي، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 2018 ص60، ص61 ..

التّلفظ بين شخصين منتميين عضويا إلى المجتمع، وإذا لم يكن هناك محاور فعلي، فسوف مفترض مقدّما هذا المحاور في شخص، لنقل، إنّه ممثّل طبيعي للفئة الاجتماعية التي ينتسب إليها المتكلّم، إنّ الخطاب موجّه للشخص المخاطب المعني، موجّه إلى ما يكونه ذلك الشّخص."[1].

وعند الحديث عن خطابية النّص، فإنّ الأمر يتعلّق بالنّص والقارئ، أمّا المتكلّم سواء أكان المؤلّف أو السارد، فإنّ المتلفظ ينظر إليه من خلال بنية الملفوظ، والمتلفظ له (القصد والهدف). أي الانتقال من بنية الملفوظ (البنية السّطحية) إلى بنية التّلفظ (البنية العميقة)[2].

ج . أفعال الكلام :

تندرج أفعال الكلام ضمن بنية الملفوظ، وتكشف أفعال الكلام باعتبارها ملفوظات عن خطابية النّص، فأفعال الكلام ملفوظات موجّهة إلى المرسل إليه من أجل تحقيق غاية معيّنة تكشف عنها طبيعة الفعل، أوامر، نواهي، دعاء، طلب، التماس، إشعار،،،،، إلخ.

وأفعال الكلام تكشف عن مضمرات النّص في بعض الأحيان، فالخطاب الأمري يكشف عن سلطة الذّات المتلفّظة، كأن تكون هيئة أو ذات تمتلك سلطة، أي عن طريقة ما يسمّيه فلاسفة اللّغة بقوّة الفعل. فقضية الفصل بين الجمل الخبرية والانشائية لا يمكن أن يكون

[1] – تزفيتان تودوروف ، ميخائيل باختين ، المبدأ الحواري ، مرجع سابق ، ص 122.

[2] – عبد الواسع الحميري ، ما الخطاب ؟ كيف نحلله؟ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ،ط1 ، 2009، ص 15.

فصلا ناتجا عن بنية الجملة أو الرسالة من حيث التركيب، بل يجب أن ينظر إليها في علاقتها بالسّياق.

فالخطاب هو نص ضمن سياق، والخطاب يتألفّ من جانب دلالي وجانب تداولي عند فان ديك،على النّحو الذي وضّحناه سابقا، فإنّ خطابية النّص تكون أساسا في الجانب التّداولي للنّص:

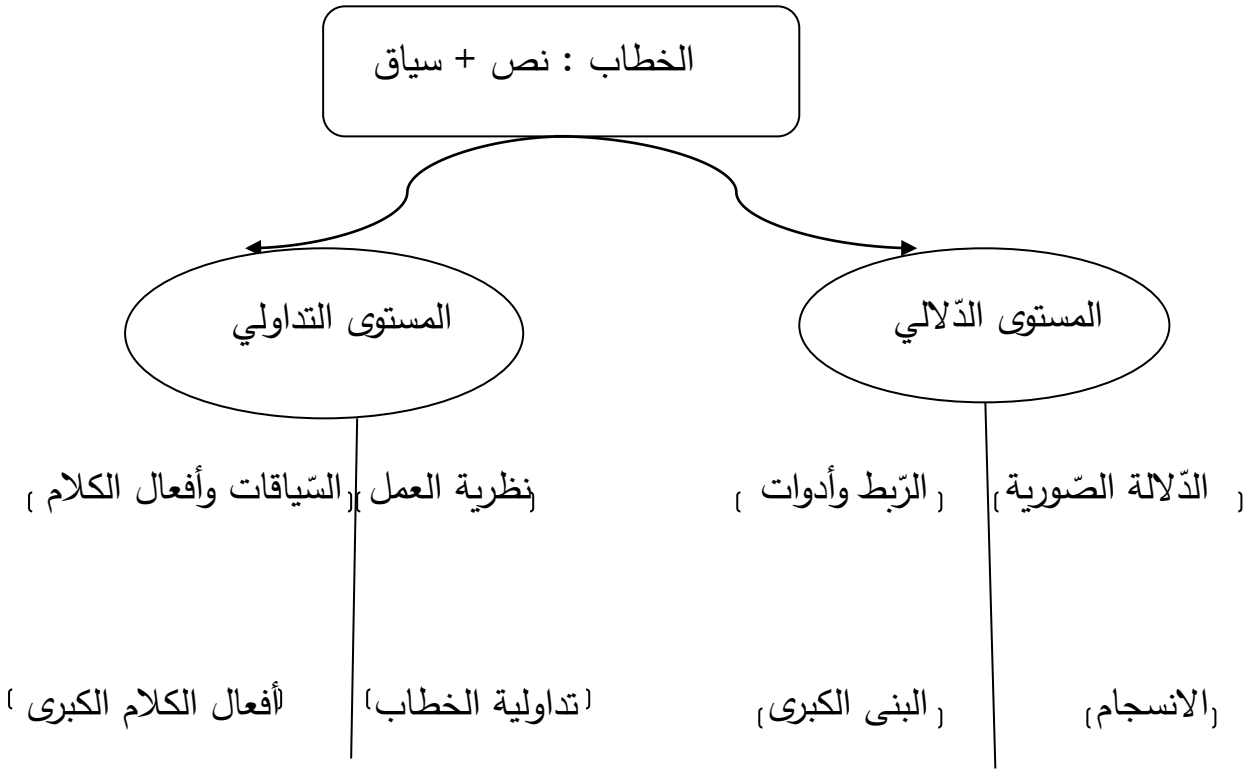

فهذا المخطّط يكشف وجهة نظر فان ديك مؤسس لسانيات الخطاب لعناصر الخطاب حيث قسّمها ـ كما تمت الإشارة إليه سابقا ـ إلى قسمين قسم الدّلالة وقسم التّداول، والمستوى التّداولي يتناول تداولية الخطاب وأفعال الكلام التي تشكّل عنصرا مهما في خطابية النّص[1].

[1] – مولاي مروان العلوي، شرطيات في لسانيات الخطاب: دراسة في ضوء المنطق والدّلالة الصّورية ، تقديم : عبد الصمد الزّواعي ، نور للتّوزيع ، ط1 ، 2017، ص66.

إنّ السّياقات وأفعال الكلام لا تعني استعمال اللّغة ضمن سياق معيّن أو موقف ما أو في مقام مخصوص، وإنّما تتجاوزه إلى التّفاعل النّاتج عن الاستعمال اللّغوي، فالفعل اللغوي هو عمل لا يختلف عن العمل اليدوي الذي يحدث أثرا ما.

إنّ قول الرّئيس مثلا: سوفر لن تدخر الدّولة أي مجهود في مكافحة وباء كورونا والمخلفات التي يتركها على جميع الأصعدة " ليس مجرّد إخبار عند المتلقي، إنّه فعل تلفّظي من حيث نطق به، وفعل لغوي بالنّظر إلى قوّة فعل الإنجاز كوعد قطعه، ينتظر المتلقّي الوفاء به من جهة، ويتحتّم على الرّئيس أن يراعي القدرة على التنفيذ قبل التّلفّظ بمثل هذه العبارة .". بغضّ النّظر عن الجهة أو لمؤسّسة التي يمثّلها، والتي يقتضيها العرف كرئيس للبلاد. فهي من الأفعال الالتزامية عند أوستين و سيرل[1]. فتداولية الخطاب تبحث في الأغراض والمقاصد المرتبطة بالمقام أو البحث عن المعنى، أمّا الجانب الشكلي أو النّحو فيبحث في الدّلالة[2]. ثمّ إنّ الجانب الدّلالي نفسه محكوم بالسّياق ، فالنّص ليس مجرّد وحدة نحوية وإنّما وحدة دلالية ، هذه الوحدة الدّلالية ناتجة عن ارتباط النّص بالسياق ، ومن هنا يكون النّص يشكّل خطابا ، حيث يتمّ موضعة النّص في جنسه ونوعه واعتبارها انجازا[3].

[1] – طالب سيد هاشم الطبطبائي ، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب ، مطبوعات جامعة الكويت ، الكويت ، ط1 ، 1994 ، ص10، ص 30، ص31.

[2] – ينظر هامش : ماريان يورغنسون و لويز فليبس ، تحليل الخطاب ، النظرية والمنهج ، ترجمة شوقي بوعناني ، مراجعة : محمد المومني ، هيئة البحرين للثقافة والآثار ، المنامة ، البحرين ، ط1 ، 2019 ، ص24.

[3] -Jean Michel Adam, L’analyse textuelle des discours entre grammaires de texte et analyse de discours, conférence donnee à lyon dans le cadre d’une journée d’hommage à Patrick Charaudeau ,(L’analyse du discours dans les sciences du langage et de la communication) , Lyon2 ,juin 2010. p05.

وقبل الختام يشير فان ديك إلى الاسلوب الذي يشكّل صورة عن خطابية النّص، فالنّص بناء تجريدي، أمّا الشكل الخارجي له، أو أسلوب عرضه ينتمي إلى دائرة الخطاب الذي يتداخل بالنّص ويتّحد به. فالأسلوب يحدّد خصائص شخصية المتكلّم والمواقف، والمقصدية والقدرة على استعمال اللغة باعتبارها قدرة خطابية [1] دون أن نغفل أهمية القارئ في التّفاعل مع النّص الذي يبرز الانسجام الدّلالي للخطاب[2].

د- المنطوقات أو العبارة :

يرى ميشال فوكو أن الكلام كثير لكن الخطابات قليلة، والخطاب عند ميشال فوكو هو شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، ولذلك فإنّ النّص كخطاب تبرز فيه ملفوظات أو منطوقات تعبّر عن الانتماء أو عن رؤية العالم ، أو السيطرة أو الصّراع الايديولوجي. فالذات لا تستعملّ اللغة استعمالا راديا خالصا، وإنّما اللّغة هي ما يتكلّم عبر الأشخاص، باعتبار الذّوات كينونات ثقافية وتاريخية وايديولوجية، فالذّات عند فوكو ليست كما كان شائعا أنها تمتلك الاستقلالية، وبالتالي فقدت مركزيتها. فهي وسيط للثقافة واللّغة. ولذلك فإنّ الذات تنتج وسط الخطابات ولا تنتج الخطاب بذلك الشكل المهيب[3].

---

[1] – أحمد المتوكل ، قضايا اللّغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، منشورات ضفاف ،بيروت ، لبنان ، منشورات الاختلاف ،الجزائر ، دار الامان ، الرباط ، المغرب ، ط1 ، 2013، ص492.

[2] – ينظر : عبدالله بن محمد المفلح، التفكير و اللغة و التفاعل النفسي، مركز الكتاب الاكاديمي ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ،201 ، ص221.

[3] – ماريان يورغنسون و لويز فليبس، تحليل الخطاب، النظرية والمنهج، ترجمة شوقي بوعناني ، مراجعة : محمد المومني، المرجع السابق ، ص 40.

ويلتقي في ذلك فوكو بألتوسير وبورديو ونورمان فاركلوف فما يسمى باتّجاه التحليل النقدي للخطاب. ويسوق كلا من ماريان يرغنسون ولويز فليبس في كتابهما تحليل الخطاب (النظرية والمنهج) مثالا عن تفسير ظاهرة فيضان وادي، فهناك من يرجعها إلى ظاهرة النينو، وآخر يتكئ على النشرة الجوية، وقد يفسرها آخر بعدّها غضب إلهي على أخطاء البشر في حين يراها البعض سوء تسيير إداري[1]. ويقول باختين: " إنّ النّاثر لا ينقّي خطاباته من نواياه، ومن نبرات الآخرين، ولا يقتل فيها أجنّة التعدّد اللّساني الاجتماعي، ولا يستبعد تلك الوجوه اللّسانية وطرائق الكلام، وتلك الشّخوص الحاكية المضمرة التي تتراءى في شفافية خلف كلمات لغته وأشكالها، وإنّما يرتّب جميع تلك الخطابات والأشكال على مسافات مختلفة من النّواة الدلالية النهائية لعمله الأدبي، ولمركز نواياه الشّخصية."[2].

إنّ التّداخل بين النّص والخطاب يجعل الحديث عن خطابية النّص واسعا جدّا لا يمكن الإحاطة به في ورقة محاضرة متواضعة، لذلك فالحديث عن خطابية النّص يحتاج إلى بحث مفرد سواء من الناحية اللسانية أو النقدية أو البلاغية .

خاتمة :

لقد نبّهنا في مقدّمة هذه المحاضرات أنّها لاتزعم الاجتهاد لتقديم تصورات جديدة في تحليل الخطاب، بالقدر الذي تسعى إلى تمهيد ارضية معرفية للطالب في تخصص لسانيات الخطاب من الإلمام ببعض الخطوط العريضة التي تسمح له بالسّفر في رحاب هذا

[1] – ماريان يورغنسون و لويز فليبس، تحليل الخطاب، النظرية والمنهج، المرجع السابق ، ص29 ، ص30.

[2]– ميخائيل باختين ، الخطاب الرّوائي ، ترجمة : محمد برادة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ط1، 1987، ص 71.

التّخصص البيني، أرضية شكّلت مفردات المقياس محاورها ، وقد قدّمت هذه الأوراق البحثية بعض ما يفيد الطالب، لكن دون يشبع نهمه المعرفي، ذلك أنّ الاشتغال لم يكن معرفيا فحسب، وإنّما كان بمراعاة الحجم السّاعي المتاح لتقديم كلّ محاضرة ، وربّما قد يلحظ القارئ أنّنا أغفلنا ربمّا كثيرا من القضايا ، لكن طبيعة المقياس وتداخله مع حقول معرفية كثيرة يشكّل وحده عقبة كأداء أمام الطموح الذي يساور كلّ ساع إلى الإحاطة بتلابيب هذا الحقل المعرفي الواسع جدّا.

وفي الأخير، أتمنى أن أكون عبر هذه المحاضرات قد أفدت الطلاّب ببعض ما يحتاجونه من معارف أوليّة تفتح لهم شهيّة الاطّلاع والمعرفة وتجيب عن بعض تساؤلاتهم التي يطرحها حقل تحليل الخطاب، والله ولي التّوفيق.

فهرس الموضوعات الصفحة

مقدمة 02

محاضرة افتتاحية : ما الخطاب 04

المحاضرة الأولى : تحليل الخطاب في البلاغة العربية 10

المحاضرة الثانية: الأساس البلاغي في تحليل الخطاب عند العرب 18

المحاضرة الثالثة : الخطاب والأساس النّحوي في التّراث العربي 33

المحاضرة الرابعة: الاستدلال العقلي والخطاب في التراث البلاغي العربي 43

المحاضرة الخامسة: التحليل اللّساني للخطاب 52

المحاضرة السّادسة : مفهوم النّص 62

المحاضرة السّابعة: النّص تعبير عن الفكر 77

المحاضرة الثّامنة: النّص ما بعد الجملة 88

المحاضرة التّاسعة: النّص وحدة دلالية 100

المحاضرة العاشرة: النّص فعل لغوي 108

المحاضرة الحادية عشرة: مقاييس النّصية 117

المحاضرة الثانية عشرة: النّص والكفاءة المعرفية 131

المحاضرة الثالثة عشرة: النّص وسيلة تواصلية 141

المحاضرة الرّابعة عشرة: خطابية النّص 151

خاتمة 164